

مركز الشيخ المفيد

لرعاية مشاريع التعليم

العقائد

"٣"

الصف الثالث الثانوي

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّي متطلبات مشاريع التعليم الديني الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائي، إعدادي، ثانوي- وفق خطة التعليم طوال السنة وبمنهجية المراحل، وهي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمل التأخير، ونظرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجاز كُتُب دراسيَّة تُلبّي هذه الحاجة بالصورة المطلوبة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصورة مؤقتة، وبعجالة من أمرنا قمنا بجمع ما توفَّر لنا من كُتُبٍ تعليميَّة وكرّاسات من جهات موثوقة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم:

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

لجنة المناهج

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المحتويات



الدرس الأول:

أنواع ومراتب التّوحيد

الدرس الأول
أنواع ومراتب التّوحيد

أهداف الدرس:

١.أن يستذكر الطالب الدليل على التوحيد في الصفات.

٢. أن يتعرف إلى معنى التوحيد الأفعالي.

٣. أن يعدد نتائج التوحيد الأفعالي.

مراتب التّوحيد

إنّ لفظ التّوحيد يعني لغةً "عدّ الشّيء وجعله واحداً" وأمّا في مصطلح المتكلّمين فيظهر معناه من خلال أقسامه ومراتبه:

١- الوحدانيّة أو نفي التعدّد: وهو الاعتقاد بوحدانيّة الله، ونفي التعدّد والكثرة الخارجيّة عن الذات، وهذا المعنى يقابل الشِّرك الصَّريح والاعتقاد بإلهين أو آلهة متعدّدة، بحيث يكون لكلّ واحد منها وجود مستقلّ ومتميّز عن الآخر.

٢- الأحديّة أو نفي التّركيب: ويعني الإيمان بالأحديّة والبساطة الداخليّة للذات، وعدم تركّب الذات الإلهيّة من أجزاء بالفعل أو بالقوّة.

٣- التّوحيد الصّفاتي أو نفي الصّفات الزائدة على الذّات: ويعني الإيمان باتّحاد الصّفات الذّاتيّة مع عين الذّات الإلهيّة، ونفي الصّفات الزائدة على الذّات، ويذكر في الرّوايات بتعبير "نفي الصّفات" في مقابل بعض - كالأشاعرة - الّذين اعتقدوا بأنّ الصّفات الإلهيّة أمور زائدة على الذات، ممّا يستلزم تعدّد القدماء بتعدّد صفات الذات، وبما أنّ الصفات الذاتية عندهم سبعة فيصبح عدد القدماء مع الذات ثمانية.

التّوحيد الأفعالي

يعني إنّ اللّه تعالى غير محتاج في أفعاله لأيّ شيء، بل كلّ شيء معلول ومخلوق له ومحتاج إليه في كلّ شؤون وجوده، فالمخلوقات كما أنّها محتاجة إليه في أصل وجودها، كذلك هي في أفعالها محتاجة ومفتقرة إليه تعالى، لأنّها قائمة به، وليس للمخلوقات أيّة استقلاليّة في نفسها وأفعالها، وهي خاضعة لقدرة اللّه وسلطانه وملكيّته الحقيقيّة والتّكوينيّة، وإنّ أيّ تأثير لمخلوق في آخر إنّما يتمّ بإذن اللّه، وبالقدرة الّتي يفيضها اللّه عليه، وأمّا فاعليّة المخلوقات وتأثيرها في غيرها، ففي طول فاعليّته تعالى وتأثيره، سواء منها الفاعل بالاضطرار كالنّار في إحراقها والشّمس في إشراقها - وهكذا كل الفواعل الطبيعية -، أم الفاعل بالاختيار كالأفعال الصادرة من الإنسان.

وبهذا البيان يتّضح لماذا أسند الله تعالى إلى نفسه في القرآن الكريم الآثار والأفعال الصّادرة من الأسباب الطّبيعيّة وغيرها تارة، وإلى فاعلها المباشر تارة أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[2] ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[3]، والإسناد إليه تعالى، لأنّه علّة العلل، وإليه تنتهي الأسباب والعلل، وإسنادها لغيره تعالى، لأنّه الفاعل المباشر، وإن كان بإذنه تعالى.

نتائج التّوحيد الأفعالي

إنّ من أبرز النّتائج المترتّبة على هذا الاعتقاد:

١- انحصار استحقاق العبادة والطّاعة بالله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4].

٢- إنّ الإنسان الّذي يحمل الشّعور بهذا التّوحيد، فسوف يعتمد في كلّ أحواله على الله تعالى ويتوكّل عليه، ويستعين به فقط، فلا يطلب العون إلّا منه، ولا يخاف إلّا ربّه، ولا يرجو إلّا إيّاه، ولو انقطعت كلّ الأسباب المادّيّة عنه فإنّه لا يصاب باليأس، لعلمه القطعي بأنّه تعالى إذا أراد شيئاً كان، ولو من الأسباب غير العاديّة، وليعيش اطمئناناً خاصّاً في ظلّ الولاية الإلهيّة ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5].

التّوسّل لا ينافي التوحيد الأفعالي

قد يتوهّم بعض أنّ التّوحيد الأفعالي يتنافى مع الاستعانة والتّوسّل بأولياء الله تعالى.

والجواب واضح من خلال ما تقدّم، لأنّ التّوسّل بهم ليس بمعنى استجابة الأولياء للمتوسّل بأنفسهم وبصورة مستقلّة عنه تعالى - والعياذ بالله - بل المراد أنّه تعالى بإذنه وإرادته جعل الوليّ وسيلة للتّوصّل إلى رحمته، مضافاً إلى أنّه تعالى هو الّذي أمر باتّخاذهم وسيلة، حيث قال تعالى: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[6]، وأمّا الحكمة من جعلهم وسائل، والأمر بالتّوسّل بهم، فله أسباب، منها:

١- أن يعرّف النّاس بالمراتب العالية والدّرجات الرّفيعة الّتي وصلوا إليها.

٢- أن يوجد دوافع نحو الطّاعة، وليحاول الإنسان الوصول إلى أعلى المراتب الكمالية الممكنة من خلال جعلهم عليهم السلام المثل الأعلى.

٣- إنّ معرفة الأولياء ومعرفة مكانتهم عند الله تخلق إحساساً بالنّقص والتّقصير عند الإنسان،

١ - سورة الرّوم، الآية: ٤٨.
٢ - سورة النّمل، الآية: ٦٠.
٣ - سورة الأنفال، الآية: ١٧.
٤ - سورة الفاتحة، الآية: ٥.
٥ - سورة يونس، الآية: ٦٢.
٦ - سورة المائدة، الآية: ٣٥.

وهذا الإحساس يحول دون وقوع الإنسان العادي في الغرور والتكبّر نتيجة الطّاعات الّتي يفعلها.

خلاصة الدرس

- للتوحيد أقسام: الوحدانيّة، الأحديّة، التوحيد الصفاتي، التوحيد الأفعالي.

- الواحدانيّة: تعني نفي التعدُّد والكثرة الخارجيّة عن الذات،

والأحديّة: تعني نفي التركيب الداخلي في الذّات الإلهيّة.

- التوحيد الصفاتي: يعني نفي الصفات الزائدة على الذّات.

- التوحيد الأفعالي: يعني أنّ الله تعالى – وهو واجب الوجود– علّة العلل، وإليه تنتهي الأسباب، وإنّ أيّ تأثير لمخلوق في آخر إنّما يتمّ بقدرة الله وإرادته وتسبيبه.

- للتوحيد الأفعالي نتائج، منها:

١- انحصار استحقاق العبادة والطاعة بالله تعالى.

٢- الاعتماد والاتّكال على الله سبحانه مسبّب الأسباب.

- التوسُّل بأولياء الله سبحانه لا يعني استجابة الأولياء للمتوسِّل بأنفسهم وبصورة مستقلّة عن الله تعالى، بل يعني أنّه بإذنه تعالى جعل الوليّ وسيلة للتوصّل إلى رحمته. وعليه لا يتنافى التوسُّل مع التوحيد الأفعالي.

أسئلة حول الدرس

١- ما هو الفرق بين الوحدانيّة والأحديّة؟

٢- بيّن المقصود من التّوحيد الصّفاتي؟

٣- ما هو الدليل على التّوحيد الصّفاتي؟

٤- ما هو المقصود من التّوحيد الأفعالي؟

٥- ما هي حقيقة التوسّل والّتي لا تتنافى مع التّوحيد الأفعالي؟

الدرس الثاني:

الجبر والاختيار

الدرس الثاني
الجبر والاختيار

أهداف الدرس:

١.أن يعدد الطالب الأقوال في الجبر والاختيار.

٢. أن يتبين رأي الشيعة في الجبر والاختيار.

مذاهب واتجاهات

من المسائل الاعتقاديّة الّتي وقع البحث فيها، وحصل الخلاف حولها، هي مسألة أفعال الإنسان وكيفيّة صدورها منه، وقد تعدّدت فيها المذاهب:

١- الجبر: ويعني أنّ الإنسان مجرّد آلة، ودمية يحرّكها الله تعالى، من دون أيّ اختيار له في حصول الفعل، وقد انطلق هذا القائل- أهل الحديث والأشاعرة - من منطلق الحفاظ على التّوحيد الأفعالي، لأنّه توهّم أنّ القول بالاختيار، وتأثير الإنسان في أفعاله - وكذلك تأثير الأسباب الطّبيعيّة- يتنافى مع هذا التّوحيد في الخالقيّة، غافلاً عمّا يلزم هذا القول، من عبثيّة بعث الأنبياء والرّسل عليهم السلام وإنزال الكتب والتّشريعات، ولغويّة الثّواب والعقاب، وبالتالي يلزم نسبة الظلم إلى الله تعالى، لأنّه - حسب قولهم- هو الفاعل لأفعال المخلوقين حقيقة، ومع ذلك يعذّبهم عليها، إن كانوا من أهل الكفر والمعاصي.

٢- التفويض: ذهب آخرون - وهم مفوِّضة المعتزلة- إلى أنّ الله تعالى أفاض القدرة على الإنسان وغيره- كالأسباب الطّبيعيّة- من بداية إيجادها، وفوّض إليها أفعالها، بحيث لم يعد له تعالى أيّ سلطان على هذه المخلوقات في أفعالها، فالفعل الصادر من الإنسان ينسب حقيقة إليه فقط، ولا علاقة لله به، لا من قريب ولا من بعيد.

وانطلق هؤلاء من الحفاظ على العدل الإلهيّ، باعتبار أنّ القول بالجبر يلزم منه ظلم الله لعبيده حيث أجبرهم على فعل المعصية ثمّ عاقبهم عليها، ولكنّهم غفلوا عن أنّهم سلبوا من الله قدرته وسلطانه، ونسبوا إليه العجز، فخالفوا التّوحيد الأفعالي ووقعوا في الشرك.

٣- أمر بين الأمرين: ذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام، تبعاً لما ورد عن أئمّتهم عليهم السلام إلى قول آخر دقيق وجليل، يحافظون من خلاله على العدل الإلهي، وفي نفس الوقت لا يلزم منه نسبة العجز إليه تعالى، فلا يقعون في الشّرك الأفعالي، وهو الطّريق الوسط المعبّر عنه في الأحاديث، كما عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: "لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين"[٧].

---

٧ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، باب الاستطاعة، ح ١٣.



وخلاصة هذا القول: إنّ أفعالنا تنسب إلينا حقيقة، ونحن أسبابها، وهي واقعة تحت قدرتنا واختيارنا، وفي نفس الوقت هي مقدورة للّه تعالى، غير خارجة عن سلطانه، فإنّه تعالى هو المفيض للوجود في كلّ لحظة، ومعطي القدرة والقوّة في كلّ آن، كما قال تعالى: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٨]، ولذلك أسندت إليه تعالى الأفعال حقيقة، فلم يجبرنا على أفعالنا ليكون قد ظلمنا بالعقاب على المعاصي، لأنّنا نملك القدرة والاختيار فيما نفعل- وهذا ندركه بالوجدان- ولم يفوِّض إلينا إيجاد أعمالنا، إذ إنّنا نحتاج إلى ما يمدّنا به من قوّة وقدرة في كلّ آن- وهذا مقتضى فقرنا الذّاتي وحاجتنا المطلقة - ولو انتفى فيضه آناً ما لانتفى وجودنا فضلاً عن أفعالنا، فله الخلق والحكم، ولا حول ولا قوّة إلّا به تعالى.

ومن خلال هذه النّظريّة نفهم الآيات الّتي نسبت الأفعال إلى الفاعل المباشر - كالإنسان -تارة، ونسبتها إلى اللّه تعالى تارة أخرى، وكذلك الآيات الّتي ربطت وأناطت كلّ ما يحصل في الكون بإذن اللّه ومشيئته، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٩].

الجبر والتفويض في كلام المعصوم عليه السلام

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: "إنّ اللّه عزَّ وجلَّ لم يُطعْ بإكراه، ولم يُعصَ بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه وهو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن اللّه عنها صادّاً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحُل وفعلوه، فليس هو الّذي أدخلهم فيه"[١٠].

وروي عن المفضّل بن عمر عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: "لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين".

قال، فقلت: وما أمر بين أمرين؟ قال عليه السلام: "مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته، أنت الّذي أمرته بالمعصية"[١١].

خلاصة الدرس

- **القائل بالجبر:** - أهل الحديث والأشاعرة- يعني أنّ الإنسان لا اختيار له في حصول الفعل، وذلك حفاظاً على التوحيد الأفعالي.

ولكن يُردُّ: أنّ الجبر يلزم منه عبثيّة بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام وإنزال الكتب، ولغويّة الحساب والثواب والعقاب، و نسبة الظلم إلى اللّه تعالى.

---

٨ - سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

٩ - سورة التكوير، الآية: ٢٩.

١٠ - كتاب التوحيد،الشيخ الصدوق، الباب ٥٩، الحديث ٧ و٩.

١١ - م.ن.

- القائل بالتفويض: - مفوِّضة المعتزلة- يعني أنّ الله تعالى أفاض القدرة على الإنسان وفوّض إليه فعله، بحيث لم يعد له تعالى أيّ سلطان، وذلك حفاظاً على عدل الله سبحانه.

ولكن يُردُّ: أنّهم بقولهم هذا يسلبون من الله قدرته ويقعون في الشرك الأفعالي.

- القائل بالأمر بين الأمرين: الشيعة- يعني أنّ أفعال الإنسان تقع باختياره، ولكن في نفس الوقت هي مقدورة لله تعالى.

وبذلك لا نقع في الشرك الأفعالي ولا ننسب الظلم إلى الله سبحانه.

أسئلة حول الدرس

١- بيّن معنى الجبر والتفويض، ووجه بطلانهما.

٢- تحدّث بوضوح عن الأمر بين الأمرين.

٣- بما أنّ الإرادة تتكوّن نتيجة مجموعة عوامل، ورغبات غير اختياريّة، فهذا يعني أنّ الإنسان مجبر وليس مخيّراً. كيف تجيب على هذه الشبهة؟

٤- هل يتنافى العلم الإلهيّ الأزليّ مع الاختيار، ولماذا؟

الدرس الثالث:

القضاء والقدر

الدرس الثالث
القضاء والقدر

أهداف الدرس:

١.أن يتعرف الطالب إلى معنى القضاء والقدر.

تمهيد

إنّ الكلام حول الجبر والاختيار يفتح المجال للكلام حول القضاء والقدر، ليتمكّن المسلم من فهمهما بوجه صحيح لا يتنافى مع الاختيار كما توهّمه بعض. والقضاء والقدر يجب الاعتقاد بهما، ففي الخبر عن الإمام عليّ عليه السلام: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة: حتّى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّي رسول الله بعثني بالحقّ، وحتّى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتّى يؤمن بالقدر"[١٢].

١- معنى القضاء والقدر

إنّ القدر من المقدار، والتّقدير للأشياء بحسب الزّمان والمكان والمقدار والكيفيّات والأسباب والشّرائط، والقضاء هو فصل الأمر قولاً أو فعلاً.

فالله تعالى مثلاً: قدّر للشّجرة لكي تصبح شجرة أن يكون البذر صالحاً وقابلاً للنّموّ، وأن يوضع في التّراب المناسب، ويتهيّأ له الماء والهواء والحرارة الملائمة له، فإذا تحقّقت كلّ الشّروط، وتمّ التّقدير، قضى المولى عزَّ وجلَّ بأن يفترع البذر التّراب، وينمو ليصبح شجرة، فإذا تغيّرت مراحل التّقدير كلّها أو بعضها، دخلت في تقدير آخر، وبالتّالي أصبح لها قضاء آخر وهو اليباس.

وكذلك الحال بالنّسبة لأفعال الإنسان، فإنّ الله أعطى الإنسان الإرادة والاختيار، فإذا أفاض الله عليه القدرة، وحصل الدّاعي للفعل، واختار الفعل، ولم يمنع مانع من تحقّقه، قضى المولى – عزَّ وجلَّ – حينئذ بحصول الفعل، فإذا اختلّت بعض التّقديرات، انقلب التّقدير إلى تقدير آخر وبالتّالي إلى قضاء آخر.

وهذا المعنى مستفاد من الآيات والرّوايات، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١٣]، وفي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: "بعد سؤاله عن القدر: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء" ثمّ قال عليه السلام: "إنّ الله إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراده قدّره، وإذا قدّره قضاه وإذا قضاه أمضاه"[١٤].

وبناءً على ما ذُكر يظهر عدّة أمور:

---

١٢ – بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٥، ص٨٧.
١٣ – سورة القمر، الآية: ٤٩.
١٤ – بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٥، ص١٢٢.

١- إنّ القضاء متأخّر عن القدر تأخر المسبَّب عن سببه.

٢- إنّ القدر هو تحديد الأسباب والشّروط الّتي إذا تحقّقت وحصلت تعيّن القضاء وتحتّم إلّا إذا منع منه مانع.

٣- إنّ حصول القدر تدريجي، وأمّا القضاء فيحصل دفعة واحدة، ولذلك لا يتعدّد ولا يتغيّر، والقدر قابل للتغيّر إذا تغيّرت بعض الأسباب والشّروط دون القضاء.

وعليه فكلّ ما يحصل في هذا الكون محكوم بالقدر والقضاء، فالقضاء بالمرض على الإنسان إذا تحقّق سببه وتقديره، والقضاء بالشّفاء عند تحقّق سببه وتقديره أيضاً، وكلٌّ من المرض والشّفاء خاضع لتقدير الله وقضائه وقد ورد في الحديث: "قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رقى[١٥] يستشفى بها، هل تردّ من قدر الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّها من قدر الله"[١٦].

والحاصل: إنّ كلّ شيء يحصل في هذا الوجود فإنّما يحصل بإرادة الله وقدره وقضائه، غاية الأمر أنّ الشّيء المقدَّر لا يخلو إمّا أن يكون من أفعال العباد وإمّا من بقيّة الكائنات، فإن كان من أفعال العباد فالله أراده وقدّره بشرط اختيار العبد له، والله قضاه وأمضاه تبعاً لما يختاره العبد من الفعل والتّرك، وبهذا البيان يظهر عدم منافاة القضاء والقدر لاختيار الإنسان بل يؤكّده.

وأمّا عدم منافاة القدر للاختيار فلأن الاختيار من مقدّمات القدر، وأمّا عدم منافاة القضاء للاختيار فلأنّ اختيار العبد للقدر اختيار للقضاء، إذ أنّ اختيار السّبب التامّ اختيار للمسبّب وإن لم يتوسّط الاختيار بين السّبب والمسبب. وإن كان من الكائنات الفاعلة بالجبر فالله قدّر وقضى تحقّقه بالاضطرار[١٧].

خلاصة الدّرس

- القدر من المقدار، والتقدير للأشياء بحسب الزمان والمكان والمقدار والكيفيّات والأسباب والشرائط. والقضاء هو فصل الأمر والحكم عليه.

ويفترق القدر عن القضاء:

١- أنّ القضاء متأخِّر عن القدر تأخّر المسبَّب عن سببه.

٢- إنّ القدر هو تحديد الأسباب والشروط الّتي إذا تحقّقت وحصلت تعيّن القضاء.

- لا تنافي بين اختيار الإنسان والقضاء والقدر، وذلك لأنّ الله تعالى قدّر أفعال الإنسان بشرط اختيار العبد لها، ثمّ إنّ الله تعالى قضاه تبعاً لاختيار العبد.

---

١٥ - رقى: جمع رقية.

١٦ - بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٥، ص٨٧.

١٧ - مقتبس من شرح عقائد الإمامية العلّامة السيّد الخرّازي، والإحكام في علم الكلام، العلّامة السيّد محمّد حسن ترحيني.

أسئلة حول الدرس

١- عرّف القضاء والقدر من خلال آية ورواية، واذكر الفرق بينهما.

٢- هل يتنافى القضاء والقدر مع اختيار الإنسان، ولماذا؟

الدرس الرابع:

البداء

الدرس الرابع
البداء

أهداف الدرس:

١. أن يتعرف الطالب على عقيدة البداء.

٢. أن يميز بين النسخ والبداء.

تعريف البَداء

من المفاهيم الّتي اتّفقت عليها كلمات الإماميّة من الشيعة هو مفهوم البداء، وقد شكّل الفهم الخاطئ لهذا المفهوم من قبل غير الشيعة سبباً للطعن عليهم، ومنشأ الخطأ عندهم هو الخلط بين المعنى اللّغوي والمعنى الاصطلاحي المقصود، في المقام وسيتضح ذلك من خلال الخطوات التالية:

١- البَداء لغة: هو الظهور بعد خفاء، قال في المصباح المنير: "بدا يبدو بدواً: ظهر، فهو باد،... وبدا له في الأمر ظهر له ما لم يظهر أوّلاً، والاسم: البداء مثل السَّلام". وهذا المعنى جامع للاستعمالات المتعدّدة للبداء لغة قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[18]، والبداء بهذا المعنى يستحيل نسبته إلى الله تعالى، لما يتضمّنه من نسبة الجهل إليه تعالى، وهو العالم المطلق الّذي لا يشوب علمه ذرّة من جهل فكيف يقال في حقّه إنّه بدا له ما كان خافياً عليه؟!. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "من زعم أنّ الله عزَّ وجلَّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه"[19].

٢- البداء اصطلاحاً: وهو "الإظهار والإبداء لما خفي من القدر والقضاء المشروط بشرائط غير محقّقة بعد" ومن آثاره قدرة الإنسان على تغيير مصيره بواسطة الأعمال الحسنة أو القبيحة. وبالبداء يكون للصّدقة وصلة الرّحم والدّعاء وغيرها أثرٌ ومعنى.

٣- ينقسم القضاء إلى قسمين:

أ- قضاء مبرم محتوم: وهذا لا يقع فيه البداء، بل يستحيل وقوع البداء فيه، لأنّه يلزم منه التغيّر في علمه تعالى.

ب- قضاء مشروط وموقوف على أمرين:

١ - تحقّق شروطه.

٢ - عدم تعلّق المشيئة الإلهيّة بخلافه.

وقد ورد عن الباقر عليه السلام أنّه قال: "من الأمور أمور محتومة كائنة لا محالة، ومن الأمور

١٨ – سورة المائدة، الآية: ٩٩.

١٩ – بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، البداء والنسخ، ج ٢، ص١٣٦.

أمور موقوفة عند الله، يقدّم منها ما يشاء ويمحو ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء"[٢٠].

وهذا القسم هو الّذي يقع فيه البداء، والّذي صرّح المولى عزَّ وجلَّ به في الآية، حيث ذكرت بأنّه تعالى يقدّم ما يشاء ويمحو ما يشاء، وقد روى أهل السّنّة عن ابن عبّاس أنّه قال: "الكتاب اثنان: كتاب يمحو الله ما يشاء فيه، وكتاب لا يغير وهو علم الله والقضاء المبرم"[٢١].

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "لا يردّ القضاء إلّا الدّعاء، ولا يزيد في العمر إلّا البرّ"[٢٢] ، وغيره الكثير من الرّوايات.

ومن أمثلة البَداء المصطلح قوله تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفًا﴾[٢٣] فهل كان تعالى لا يعلم بأنّ في المسلمين ضعفاً يمنعهم من أن يقابل العشرون منهم المائتين من الكافرين، والمائة الألف، ثمّ علم فخفّف عنهم بقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغۡلِبُواْ مِئَتَيۡنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٌ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ﴾[٢٤] ؟.

والجواب: هو أنّه تعالى كان عالماً بضعفهم. ولا يمكن نسبة الجهل إليه تعالى، ولذلك لا يتأتّى تفسير هذه الآية بشكل صحيح إلّا في ضوء البداء، بمعنى أنّ الله (تعالى) أبدى وأظهر ما كان يكنّه من علمه الخاصّ، فاستبدل بالواقعة واقعة، وهكذا يمكن تفسير قصّة النبيّ إبراهيم عليه السلام مع ذبح ولده النبيّ إسماعيل عليه السلام وغيرها أيضاً.

وبهذا البيان الصحيح بمعنى البداء يمكن توجيه ما ورد من الآثار المترتبة على مثل الصدقة والدعاء وصلة الأرحام، من أنّ "الصّدقة تدفع البلاء"[٢٥]، "والدّعاء يردّ القضاء"[٢٦]، و"صلة الأرحام تطيل الأعمار"... الخ[٢٧].

ومن خلال ما تقدّم يعلم أنّ البّداء نسخ تكوينيّ، وأنّ النّسخ بَداء تشريعي فكما أقرّ جميع المسلمين بإمكانيّة نسخ الأحكام وعدم استحالته لعدم مخالفته للعلم الإلهي، فكذلك

النّسخ التكوينيّ المعبّر عنه بالبداء.

بين النسخ والبداء

لقد اتّفقت كلمة المسلمين على إمكان النّسخ في الأحكام الشرعيّة، ومعنى النّسخ هو رفع حكم شرعي ظاهره الثّبات والدّوام بحكم شرعيّ آخر مخالف للحكم الأوّل.

بمعنى أنّ الحكم الأوّل مؤقّت بمدّة معيّنة في علم الله، ولكنّه تعالى لم يُظهر هذا التّوقيت، بل أظهر

٢٠ – م.ن. ج٤، ص١١٩.

٢١ – خلاصة علم الكلام، د. عبد الهادي الفضلي، ص ١١٢، نقلاً عن كتاب حاشية الجمل، ج ٢، ص ٥٧٤.

٢٢ – سنن الترمزي، الترمزي، ج ٣، ص ٣٠٣.

٢٣ – سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

٢٤ – سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

٢٥ – الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٥.

٢٦ – الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٦٩.

٢٧ – م.ن، ج ٢، ص ١٥٢.

الاستمرار والدّوام، وأخفى التوقيت عن النّاس، إذ لولا الدّليل الناسخ لبقي الحكم الأوّل واستمرّ كما هو، وعليه لا يتنافى النّسخ بهذا المعنى مع العلم الإلهيّ الأزليّ.

ومن أمثلة النّسخ، الحكم بتوجُّه المسلمين إلى بيت المقدس في صلاتهم وهي القبلة الأولى، من دون أن يحدّد مدّة ووقت لهذا الحكم، ثمّ رُفع هذا الحكم بحكم آخر بوجوب التّوجّه إلى الكعبة بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٢٨].

وأمّا لماذا يخفي تعالى التّوقيت؟ فالجواب هو أنّ لإخفاء التّوقيت مصالح متعدّدة منها الامتحان والاختبار وغير ذلك.

وهكذا البداء كما مرّ آنفاً، فإنّ الله يعلم بتغيّر التقدير والقضاء المشروط، ولكن لا يظهره لهم لمصلحة معيّنة، وعندما يتحقّق شرط التّغيير يتغيّر التّقدير، والقضاء يتغير تبعاً له.

وبهذا البيان يتّضح أنّ النّسخ والبداء من وادٍ واحد، والفارق بينهما أنّ النّسخ يقع في عالم التّشريع والأحكام، والبداء في عالم التكوين، فالبداء نسخ تكوينيّ، والنّسخ بداء تشريعيّ.

خلاصة الدّرس :

- البداء لغة: هو الظهور بعد خفاء، وهو بهذا المعنى يستحيل نسبته إلى الله تعالى.

أمّا اصطلاحاً: هو الإظهار والإبداء لما خفي- على الإنسان- من القدر والقضاء المشروط.

القضاء قضاءان مبرم ومشروط:

الأوّل: لا يقع فيه البداء.

الثاني: هو الّذي يقع فيه البداء.

- النسخ بداء تشريعي، والبداء نسخ تكوينيّ.

أسئلة حول الدرس

١- عرّف البداء لغة واصطلاحاً؟

٢- أذكر آية لا يمكن فهمها إلّا من خلال البداء بالمعنى الصحيح، مع توضيح.

٣- ما هو الفرق بين النسخ والبداء؟

٢٨ - سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

الدرس الخامس:

العدل (١)

الدرس الخامس
العدل

أهداف الدرس:

١. أن يتعرف الطالب إلى معنى الحسن والقبح.

٢. أن يعدد أقسام العدل.

٣. أن يستذكر الدليل على العدل الإلهي.

تمهيد

لقد تعرّض القرآن الكريم في الكثير من آياته للعدل الإلهي فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢٩] ، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣٠].

وقد اتفقت كلمة المسلمين قاطبة على أنّ الله عادل، وأنّ العدل من صفاته الكماليّة، إلّا أنّه وقع الخلاف بين العدليّة (الشيعة والمعتزلة) من جهة، والأشاعرة من جهة أخرى حول: قدرة العقل على معرفة الحسن من القبيح من دون الاعتماد على الشّرع. ومرجع الخلاف إلى مسألة أن التّحسين والتّقبيح هل هما شرعيّان أو عقليّان؟ فهل العقل قادر على إدراك الحسن والقبح في بعض الأفعال أو لا؟

التّحسين والتّقبيح

قالت الأشاعرة: لا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها بل الحسَن ما حسّنَه الشارع من خلال فعله في التكوينيات وأمره في التشريعيات. والقبيح ما قبّحه الشارع، ولا يتّصف الفعل بالحسن والقبح قبل ورود بيان من الشّارع المقدّس، وأنّه تعالى لو خلّد المطيع في جهنّم، والعاصي في الجنّة، لم يكن قبيحاً، لأنّه يتصرّف في ملكه حيث إنّه سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون﴾[٣١].

ولذلك عُرِفَ قولهم بالتحسين والتقبيح الشرعيّين، و قد يؤدّي هذا القول إلى إنكار العدل بصورة غير مباشرة.

وقالت العدليّة (الشيعة الإمامية): إنّ الأفعال تملك قيماً ذاتيّة، يدركها العقل بغض النّظر عن حكم الشرع، فمن الأفعال ما هو حسن في نفسه، ومنها ما هو قبيح كذلك، ومنها ما لا يتّصف بهما، والعقل يدرك أيضاً أنّ الله وبمقتضى صفاته الكماليّة المطلقة لا يفعل ولا يأمر إلّا بما هو حسن، ولا ينهى إلّا عن القبيح، فالعقل إذاً وظيفته الإدراك، وهو يدرك حسن العدل ويمدح فاعله، وقبح الظّلم ويذمّ فاعله.

---

٢٩ - سورة النحل، الآية: ٩٠.

٣٠ - سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

٣١ - سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

وهذا الإدراك لا يعني أنّ العقل يأمر اللّه وينهاه، بل يكتشف العقل تناسب فعلٍ مّا مع الصّفات الكماليّة للّه تعالى، (كالعدل) وعدم تناسب فعل آخر معها (كالظّلم)، ويدركُ استحالة صدور الفعل القبيح منه تعالى.

وقد استشهد العدليّة على قولهم هذا بأنّ كلّ العقلاء، حتّى المنكرين للشّرائع السّماويّة، لا يتردّدون بالحكم على فعل العدل بأنّه حسن، وعلى فعل الظّلم بأنّه قبيح، من دون اعتمادهم على شريعة بل مع إنكارهم لها، ولذلك تجدهم يسعون لوضع أنظمة وقوانين لحفظ الحقوق وتحقيق العدالة، وهذا من البداهة والوضوح بمكان.

مفهوم العدل

للعدل عدّة تفسيرات أهمّها:

١- إنّ العدل هو فعل ما حسّنه العقل وترك ما قبّحه، فيكون مساوياً للحكمة، أي وضع الشّيء في موضعه المناسب[٣٢]، والإتيان بالفعل في محلّه، لأنّ العقل يحكم بحسن هذا الوضع.

٢- إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه: وهذا المعنى أخصّ من المعنى المتقدّم، لأنّ إعطاء الحقّ لصاحبه هو وضع للحقّ في موضعه المناسب، إلّا أنّ هذا المفهوم هو الأقرب لمعنى العدل كمفهوم مستقلّ ومغاير لمعنى الحكمة، والحقّ الوارد في التعريف يشمل جميع الحقوق بما فيها الحقّ غير الثابت بالأصالة بل ولو كان ثبوت الحقّ بسبب الوعد، إذ ليس للإنسان حقّ بالأصالة على اللّه تعالى، ولكّنه ثبت له هذا الحقّ بعد وعده تعالى الإنسان بالثواب نتيجة أفعاله.

الفرق بين العدل والمساواة:

وبهذا يظهر الفرق بين العدل والمساواة، فإنّ وضع الشّيء في موضعه قد يتنافى مع المساواة في كثير من موارده. فلو أعطى المعلّم علامة واحدة (١٥ مثلاً) لجميع التلامذة فإنّه ظلمٌ لمن يستحقّ الأكثر، وهو وضع لهذه العلامة في غير موضعها لمن لا يستحقّها.

خلاصة الدّرس:

- الأشاعرة يقولون بالتحسين والتقبيح الشرعيّين، فلا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها بل الحسن ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبّحه.

العدليّة: المعتزلة والشيعة- يقولون بالتحسين والتقبيح العقليّين، فالأفعال تملك قيماً ذاتيّة يُدركها العقل، بغضّ النظر عن حكم الشرع، والدليل الوجدان حيث إنّ العقلاء- حتّى المنكرين للشرائع- لا يتردّدون بالحكم على فعل العدل بأنّه حسن، وعلى فعل الظلم بأنّه قبيح.

- العدل هو فعل ما حسّنه العقل وترك ما قبّحه، أو وضع الشيء في موضعه المناسب، أو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

---

٣٢ - إنّ لكلّ شيء وضعاً خاصاً به يقتضيه ويفرضه العقل أو الشرع أو المصالح العامة والشخصية في نظام الكون.



الدرس السادس:

العدل (٢)

الدرس السادس
العدل

أقسام العدل:

بما أنّ وضع الشّيء في موضعه المناسب وإعطاء الحقوق لأصحابها يختلف باختلاف الأشياء والحقوق ومواضعها، إذ لكلّ شيء وضع مناسب له بحسبه، فإنّ لكلّ شيء وضعاً خاصّاً به يقتضيه، ويفرضه العقل، أو الشّرع، أو المصالح العامّة والشخصيّة في نظام الكون وبناءً عليه قُسِّم العدل إلى ثلاثة أقسام:

١- العدل التكويني: وهو يعني أنّه تعالى يعطي كلّ موجود في مراحل تكوينه ما يستحقّه ويحتاجه في مسيرته نحو الغاية الّتي لأجلها خلق، فيكوّنه بما يتناسب مع غايته، فلا يهمل قابليّة، ولا يعطّل استعداداً قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى × وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣٣] ، وبذلك يكون تعالى قد وضع كلّ شيء في موضعه المناسب له تكويناً.

٢- العدل التّشريعي: وهو أنّه تعالى يشرِّع الأحكام الّتي تتكفّل كمال الإنسان وسعادته في كلّ الجوانب المادّيّة والمعنويّة، الدنيويّة والأخرويّة، ولا يكلِّف نفساً إلّا وسعها، وبذلك يكون قد وضع التّشريع في موضعه المناسب، فيكون عادلاً.

٣- العدل الجزائي: أي إنّه تعالى يحاسب ويجازي ثواباً وعقاباً كلّ نفس بما كسبت، ولا يعاقب العبد على تكليف إلّا بعد البيان وإلقاء الحجّة عليه، وبهذا يكون قد وضع العقاب والثّواب في موضعهما المناسب.

دليل العدل الإلهي

الدّليل على وجوب اتّصافه تعالى بالعدل هو:

لو لم يكن اللّه عادلاً لاستلزم ذلك نسبة النقص إليه تعالى، والنّقص منتفٍ عنه تعالى بالضّرورة، فوجب كونه عادلاً.

توضيح الدليل

إنّه تعالى لو كان يفعل الظّلم والقبح- تعالى عن ذلك- فإنّ فعل الظلم لا يخلو من أربع صور- أي: إنّ الظّلم مسبَّب لواحد من الأسباب الأربعة:

١- أن يكون صدور الظّلم بسبب الجهل بكون الفعل قبيحاً.

٢- أن يكون عالماً بقبح الفعل ولكنّه فعله لأنّه مجبر على فعله عاجز عن تركه.

---

٣٣ - سورة الأعلى، الآيتان: ٢-٣.

٣- أن يكون عالماً بقبح الفعل، وغير مجبر عليه، ولكنّه محتاج إلى فعله.

٤- أن يكون عالماً بقبح الفعل، وغير مجبر وغير محتاج، ولكنّه فعله عبثاً ولغواً.

هذه هي الصّور والأسباب الأربعة المتصوّرة لصدور الظّلم، فإذا انتفت هذه الأسباب انتفى الظّلم لانتفاء أسبابه وبالتالي ثبت العدل.

وكلّ هذه الصّور والأسباب مستحيلة على الله تعالى، لأنّها تستلزم النّقص فيه.

فالصّورة الأولى تستلزم نسبة الجّهل إليه تعالى وقد ثبت أنّه تعالى عالم مطلق لا يشوب علمه ذرّة من جهل ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣٤].

والثّانيّة تنسب إليه العجز مع العلم بأنّه تعالى هو القادر المطلق الّذي لا يتوهّم فيه عجز ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[٣٥].

والثّالثة تسند إليه الحاجة والافتقار مع أنّه تعالى هو الغنيّ المطلق الّذي يحتاجه كلّ شيء ولا يحتاج إلى شيء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣٦].

والرابعة تخالف الحكمة وهو تعالى الحكيم الّذي لا يفعل عبثاً ولا لغواً ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣٧] وهو تعالى كمال محض، منزّه عن فعل أيّ قبيح [٣٨]، ومن خلال السبب الرابع يمكن الإشارة إلى دليل آخر مستقلّ معروف بدليل الحكمة وهو:

دليل الحكمة

تقدّم أنّ الله تعالى يمتلك أسمى مراتب القدرة والاختيار، وأنّه قادر على أن يفعل أيّ فعل ممكن الوجود أو لا يفعله، دون أن يخضع لتأثيرات أيّة قوّة تجبره وتقهره، إلّا أنّ الله لا يفعل كلّ ما يقدر عليه من أفعال، وإنّما يفعل ما يريده هو.

وتقدّم أيضاً أنّ إرادته تعالى ليست عبثيّة ولا خرافيّة، وإنّما يريد ما يتناسب مع صفاته الكمالية المطلقة، فإذا لم تقتضِ صفاته الكماليّة فعلاً ما فإنّه لا يصدر منه ذلك الفعل إطلاقاً.

وبما أنّ الله سبحانه كمالٌ محض، فإرادته إنّما تتعلّق بالأصالة بجهة كمال المخلوقات وغيرها، وإذا لزم من وجود مخلوق بعض الشرّ والنقص، فإنّ ذلك يكون مقصوداً بالتبع لا بالأصالة، بمعنى أنّ هذا الشرّ لازم لا ينفكّ عن الخير الغالب، لذلك تتعلّق الإرادة بالخير الغالب ويتبعه الشرّ الّذي لا ينفكّ عنه. وبذلك تثبت صفة الحكمة لله سبحانه. وبالتالي تثبت عدالته تعالى.

٣٤ - سورة الأنفال، الآية: ٧٥.
٣٥ - سورة الأحزاب، الآية: ٢٧.
٣٦ - سورة فاطر، الآية: ١٥.
٣٧ - سورة الحشر، الآية: ١.
٣٨ - مقتبس من عقائد الإمامية.

خلاصة الدّرس :

- قُسِّم العدل إلى أقسام:

١- العدل التكويني: وهو يعني أنّه تعالى يُعطي كلّ موجود في مرحلة تكوينه ما يستحقّه ويحتاجه في مسيرته نحو الغاية الّتي لأجلها خلق.

٢- العدل التشريعي: وهو يعني أنّه تعالى يُشرِّع الأحكام الّتي تتكفّل بوصول الإنسان إلى السعادة والكمال.

٣- العدل الجزائي: وهو يعني أنّه تعالى يُحاسب ويُجازي ثواباً وعقاباً كلّ نفس بما كسبت، ولا يُعاقب إلّا بعد البيان وإلقاء الحجّة.

الدرس السابع:

العدل (٣)

الدرس السابع
العدل

شبهات وحلول

١ - كيف يتلاءم وجود المصائب من أمراض وكوارث طبيعيّة (كالسيول والزّلازل) والمتاعب الاجتماعية (كالحروب وألوان الظّلم المختلفة) مع العدل الإلهيّ؟

الجواب:

أوّلاً: إنّ الحوادث الطبيعيّة المؤلمة ملازمة لأفعال العوامل المادّيّة وانفعالاتها وتصادمها والتّزاحم بينها، وبما أنّ خيرات هذه العوامل أكثر من شرورها، لذلك لا تكون مخالفة للحكمة وبالتالي مع العدل الإلهي. وكذلك ظهور المتاعب والمفاسد الاجتماعيّة ممّا تقتضيها اختياريّة الإنسان، هذه الاختياريّة الّتي تقتضيها الحكمة الإلهيّة.

ولكنّ الملاحظ أنّ فوائد الحياة الاجتماعيّة وإيجابيّاتها أكثر من مفاسدها، ولو كانت المفاسد هي الأكثر لما بقي إنسان على وجه الأرض.

ثانياً: إنّ وجود هذه المتاعب والكوارث والمصائب، تدفع الإنسان- من جهة- إلى البحث عن معرفة أسرار الطّبيعة والكشف عنها، وبذلك تظهر الثّقافات والكشوفات والصّناعات المختلفة، ومن جهة أخرى، فإنّ خوض هذه المتاعب ومواجهتها وعلاجها، له دور كبير في تنمية الطاقات والاستعدادات ورشدها وتفجيرها، وفي تكامل الإنسان ورقيّه وتقدّمه.

وأخيراً: إنّ تحمّل أيّة مصيبة أو ألم، والصّبر عليه، سوف يكون له الثّواب الجزيل في العالم الأبدي، وسوف لا يذهب هدراً، بل يتمّ جبرانه بصورة أفضل، وسيكون الإنسان أسرع تكاملاً ووصولاً لمرتبة القرب من الله تعالى.

٢ - كيف يتلاءم العذاب الأبدي للذنوب المحدودة والمؤقّتة، الّتي يرتكبها المذنبون في هذا العالم، مع العدل الإلهي؟

الجواب: هناك علاقة عليّة وسببية بين الأعمال الحسنة والقبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويّين، قد كشف عنها الوحي الإلهيّ، ونبّه الناس عليها، وكما أنّنا نلاحظ في عالم الدّنيا، أنّ هناك بعض الجرائم، تعقبها آثار سيّئة تمتدّ إلى مدّة طويلة، رغم قصر مدّة الجريمة، فمثلاً لو فقأ الإنسان عينه هو، أو عيون الآخرين فأعماها، فإنّ هذا الفعل يتمّ في مدّة قصيرة جدّاً، ولكن نتيجته- وهي العمى- تمتدّ إلى نهاية العمر، كذلك الذّنوب الكبيرة لها آثارها الأخرويّة الأبديّة، وإذا لم يوفّر الإنسان في هذه الدنيا مستلزمات جبرانها، (كالتّوبة مثلاً) فإنّه سوف يعيش آثارها السيّئة وإلى الأبد.

فكما أنّ بقاء عمى الإنسان إلى نهاية العمر بجريمة لم تستغرق إلّا لحظة واحدة لا ينافي العدل الإلهيّ، كذلك الابتلاء بالعذاب الأبدي نتيجة لارتكاب الذّنوب الكبيرة لا ينافي العدل الإلهيّ، وذلك لأنّه ناتج عن الذّنب الذي ارتكبه المذنب عن سابق وعي وإصرار.

خلاصة الدّرس :

- يستدل على العدل الإلهي:

بأنّه لو لم يكن الله عادلاً لكان ناقصاً- لأنّ الظلم معلول للجهل أو العجز أو الحاجة أو العبث- وكلّ هذا مستحيل على واجب الوجود.

بما أنّ الله سبحانه كمال محض فإرادته تتعلّق بكمال المخلوقات، وأمّا الشر الحاصل فهو مراد لا بالأصالة وبذلك تثبت صفة للحكمة لله سبحانه.

إنّ المصائب والأمراض لا تتنافى مع العدل الإلهي، وذلك لأنّ خيرها أكثر من شرّها.

إنّ العقاب الأخروي الأبدي على الذنوب المحدودة والمؤقتة لا يتنافى مع العدل الإلهي، حيث إنّ هناك علاقة عليّة بين الأعمال الحسنة أو القبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويّين. ونحن نلاحظ في الدنيا جريمة مؤقّتة- كفقأ العين- تؤدّي إلى العمى الدائم.

أسئلة حول الدرس

١- وضّح رأي الأشاعرة والعدليّة في مسألة التحسين والتقبيح؟ واذكر دليلاً؟

٢- تكلّم حول معنى العدل، وأقسامه؟

٣- أذكر الدليل على العدل الإلهيّ؟

٤- كيف يتناسب العدل الإلهيّ مع وجود الأمراض والمصائب والابتلاءات؟



الدرس الثامن:

صيانة الوحي وعصمة الأنبياء عليهم السلام

الدرس الثامن
صيانة الوحي وعصمة الأنبياء عليهم السلام

أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب ضرورة صيانة الوحي.

٢. أن يتعرف إلى معنى العصمة.

٣. أن يتعرف إلى السر في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

تمهيد

إنّ لمبحث عصمة الأنبياء عليهم السلام أهميّة كبرى، تظهر بجلاء عند الاطّلاع على آثارها، والّتي تعادل في أهميّتها النبوّة - كما ستأتي الإشارة إليه - وقد تنوّعت المباحث حول العصمة، وسيتّضح هذا التنوّع، وتظهر تلك الأهمّية من خلال الاطلاع على العناوين والمباحث الآتية.

ضرورة صيانة الوحي

لقد تمّ إثبات ضرورة وجود أنبياء يتلقّون الوحي من الله تعالى، ليبلّغوه للنّاس، فيتحقّق بذلك الهدف من إرسال الأنبياء عليهم السلام ومن خلق الإنسان،

إلّا أنّ هذا الهدف يتوقّف تحقّقه أيضاً على كون الوحي مصاناً من أيّ نوع من أنواع التّحريف، بل حتّى احتمال التّحريف عمداً أو سهواً، وذلك، لأنّ:

الاستفادة من الوحي، وكون الوحي حجّة على النّاس تعتمد على مدى ثقة النّاس بصحّة هذا الوحي،

وأيّ احتمال للتّحريف يزعزع ثقة النّاس بالوحي، وبالتّالي يفقد حجيّته فينتقض الغرض منه،

فضلاً عن وقوع التّحريف فعلاً المؤدّي إلى انحراف المسار التكامليّ للإنسان، وفقدان المصالح المترتّبة عليه، وبالتّالي انتقاض الغرض من إنزال الوحي وإرسال الأنبياء عليهم السلام،

وهذا كما ذكر مخالف للحكمة، ولا يفعله الحكيم، خاصّة وأنّ عامّة النّاس لا يقدرون على الاتّصال بالله تعالى للتأكّد من صحّة الوحي،

وبهذا ينحصر تحقّق الغرض من الوحي بعصمة ملائكة الوحي والأنبياء عليهم السلام في مجالي تحمّل الوحي وتبليغه؛ ليصل إلى النّاس كما أوحاه الله تعالى.

ويشير إلى ما ذكر قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا × إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا × لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٣٩].

---

٣٩ - سورة الجن، الآيات: ٢٦-٢٨.

فأشار تعالى في الآية إلى وجود حفظة تصون الوحي من التّحريف، والأنبياء عليهم السلام من الخطأ فيه حتّى يبلغ النّاس كما هو من دون تغيير.

العصمة عن المعصية

الأقوال في المسألة

لقد وقع خلاف بين الفرق الإسلاميّة حول مدى تنزيه الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم من ارتكاب المعاصي والذّنوب،

فالشّيعة الإماميّة يعتقدون بأنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها منذ الولادة حتّى الوفاة فلا تصدر المعصية منهم ولو سهواً ونسياناً.

وذهبت بعض الفرق إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر دون الصّغائر.

وثالثة قالت بعصمتهم، من سنّ البلوغ دون ما قبله.

ورابعة قالت بعصمتهم بعد النّبوّة.

وأخيراً هناك من نفى وأنكر عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، وهم الحشويّة وبعض أهل الحديث، وقالوا بإمكان صدور المعصية منهم حتّى عمداً.

خلاصة الدرس

- بعدما ثبت ضرورة بعثة الأنبياءعليهم السلام لتبليغ الناسِ وحيَ اللّه تعالى للوصول إلى الكمال، كان لا بدّ من عصمة الأنبياء عليهم السلام في تلقّي الوحي وتبليغه عمداً أو سهواً، وإلّا انتقض الغرض من بعثة الأنبياء، وهو مخالف لحكمة اللّه سبحانه.

- الأقوال في عصمة الأنبياءعليهم السلام من المعصية:

١- الشيعة تقول بعصمة الأنبياءعليهم السلاممن جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سهواً وعمداً منذ الولادة حتّى الوفاة.

أمّا غير الشيعة فعلى أقوال:

١- عصمتهم من الكبائر دون الصغائر.

٢- عصمتهم من سنّ البلوغ دون ما قبله.

٣- عصمتهم بعد النبوّة.

٤- من أنكر عصمتهم- وهم الحشويّة وبعض أهل الحديث- وقالوا بإمكان صدور المعصية ولو عمداً!



الدرس التاسع:

العصمة

الدرس التاسع
العصمة

تعريف العصمة

العصمة : هي ملكة نفسانيّة راسخة وقويّة تدفع صاحبها نحو الطّاعة وتمنعه من ارتكاب المعاصي باختياره- أي: مع قدرته عليها .، فالشّجاعة مثلاً هي ملكة نفسانيّة تدفع صاحبها لخوض الحرب وتمنعه من الفرار باختياره مع قدرته على الفرار، والإنسان العاقل بما هو عاقل يستحيل أن يقدم على قتل ولده باختياره، مع أنّه قادر تكويناً على ذلك، وعليه فالملكات النفسانيّة لا تسلب صاحبها الاختيار- كما هو واضح- مهما اشتدّت الظروف.

تنبيهان :

١ - بما أنّ ملكة العصمة- محلّ الكلام- لا تحصل إلّا بعناية إلهيّة خاصّة، لذلك تنسب وتسند فاعليّتها وتأثيرها لله تعالى، فيقال مثلاً: عصمه الله أو العصمة الإلهيّة، وتلك النّسبة لله تعالى لا تعني الجبر على ترك المعاصي.

٢ - إنّ المراد من المعصية المنزّه عنها المعصوم هي ما يصطلح عليه في الفقه بفعل (الحرام) أو ترك (الواجب)، وأمّا كلمة (معصية وذنب) مثلاً، فإنّها تستعمل بمعنى أوسع من الحرام يشمل (ترك الأولى) وهذا لا يتنافى مع العصمة.

السّرّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام عن المعصية

تعتمد ملكة العصمة في تكوّنها وحصولها على ركنين أساسيّين هما :

١ - علم ووعي تامّ ودائم بحقيقة المعصية وعواقبها.

٢ - إرادة قويّة على ضبط الميول النفسيّة.

تقدّمت الإشارة إلى ضرورة عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجالين، الأوّل في تلقّي الوحي والثّاني في تبليغ الوحي والالتزام العملي بمقتضاه.

أمّا سرّ عصمتهم في المجال الأوّل فهو: أنّ إدراك الوحي بالنّسبة للأنبياءعليهم السلام من قبيل الإدراكات الّتي لا تحتمل الخطأ، لأنّ إدراك النّبيّ للحقائق العلميّة الموحاة إليه إدراك حضوريّ لا يقبل الشّكّ والتّردّد، وقد أكّد القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[٤٠].

وبهذا يظهر أنّ ما ذكر من قصص وحكايات عن شكّ نبيّ بنبوّته، أو جهله بأنّ ما سمعه وحي من الله وغير ذلك، إنّما هي حكايات موضوعة ومكذوبة.

وأمّا سرّ عصمتهم في المجال الثّاني: فيحتاج إلى مقدّمة وهي: أنّ الأفعال البشريّة إنّما تحصل

---

٤٠ - سورة النجم، الآية: ١١.

نتيجة إرادة الإنسان للفعل، وهذه الإرادة تتوقّف على حصول مَيْل في داخل الإنسان لتحقيق أمر يرغب فيه، وهذه الرّغبة تتحرّك نتيجة عوامل ومؤثّرات نفسيّة وخارجيّة مختلفة فيحدّد الإنسان- حينئذ- طريق الوصول لهدفه المنشود، فإن تمّت الإرادة، أقدم حينئذ على العمل المطلوب، وعلى فرض تعدّد الميول والرّغبات وتعارضها وتزاحمها، فإنّه يسعى قدر جهده لتحديد أفضلها وأكثرها قيمة وأهميّة، فيختاره عمليّاً. ولكنّه أحياناً- ونتيجة لنقص في علمه وقصور في معرفته- يخطئ في تقييم الأفضل وتحديده، أو أنّه لغفلته عن الأصلح، أو نتيجة لتعوده على الأمر الأسوأ يسيء الاختيار، ولا يبقى لديه مجال للتّفكير الصحيح واختيار الأصلح. إذاً فكلّما كان الإنسان أكثر معرفة بالحقائق، وكان بالنّسبة إليها أكثر وعياً وتوجهاً، وثباتاً، وأقوى إرادة على ضبط الميول والانفعالات الداخليّة فإنّه سيكون أفضل في حسن اختياره، وسيكون أكثر مناعة من الانحرافات والعثرات.

ومن هنا فإنّ بعض الأفراد المؤهّلين ومن ذوي الاستعدادات العالية، الّذين توفّروا على الثّقافة اللّازمة والوعي الضّروري ونعموا بالتّربية الصحيحة، سوف يتوصّلون إلى مراحل مختلفة من الكمال والفضيلة، وربما يقتربون من حدود العصمة، بل ولا يخطر في أذهانهم مجرّد التّفكير باقتراف الذّنب والعمل السيّئ، كما لا يفكّر أيّ عاقل بشرب السمّ أو تناول الأشياء القذرة والعفنة.

النتيجة

لو فرضنا أنّ إنساناً بلغ الغاية في استعداده لإدراك الحقائق- كالأنبياء عليهم السلام وارتفع صفاء روحه وقلبه إلى أسمى المستويات والدرجات، وكما يعبّر القرآن ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[41]، وبسبب هذا الاستعداد القويّ والصفاء الذاتيّ، تتولاّه التّربية الإلهيّة، ويؤيّد بروح القدس فإنّ هذا الإنسان سوف يطوي مدارج الكمال بسرعة لا توصف، وربما تفوّق على الآخرين حتّى في مرحلة طفولته، بل حتّى وهو جنين، وتظهر لمثل هذا الإنسان قبح المعاصي والذّنوب، تماماً كظهور ضرر السمّ ووضوحه، وقبح الأشياء العفنة والقذرة، بل الاشمئزاز منها للآخرين، بل أشدّ وأوضح، إضافة إلى الإرادة القويّة، فيمتنع عن ارتكاب المحرّمات والقبائح، بل لا يفكّر فيها، ويمتنع عنها باختياره، كما هو الحال فيمن أدرك أنّ هذا السّائل سمٌّ قاتل، فإنّه لا يفكّر بالإقدام على شربه وإن اشتدّ به العطش.

خلاصة الدرس:

- العصمة هي ملكة نفسانيّة راسخة تدفع صاحبها نحو الطاعة وتمنعه عن المعاصي باختياره.

- سرّ عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال تلقّي الوحي وتبليغه هو كون الأنبياء عليهم السلام علمهم بالوحي حضوري لا يقبل الشكّ والتردُّد.

- سرّ عصمة الأنبياء عليهم السلام عن المعصية كونهم بلغوا الغاية في إدراك الحقائق وصفاء روحهم وقوّة إرادتهم، وبسبب هذا الاستعداد تتولاّه العناية الإلهيّة الخاصّة.

٤١ - سورة النّور، الآية: ٣٥.

أسئلة حول الدرس

١- عدّد الأقوال والآراء حول عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢- عرّف العصمة، وما المقصود من العصمة المنزّه عنها المعصوم.

٣- تحدّث باختصار حول السّر في عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال تلقّي الوحي.

٤- تحدّث باختصار حول السّر في عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال تبليغ الوحي.

الدرس العاشر:

الأدلّة على عصمة الأنبياء عليهم السلام

الدرس العاشر
الأدلّة على عصمة الأنبياء عليهم السلام

أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب دليلا عقليا على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢. أن يستذكر دليلا نقليا على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

الأدلّة العقليّة على العصمة:

إنّ مخالفة أفعال الأنبياء عليهم السلام لأقوالهم ومباينة سلوكهم لكلامهم يترك أثره في مجالين أساسين هما:

١- الهداية والتّعليم

٢- التّزكية والتّربية

١- دليل الهداية والتّعليم

بما أنّ الهدف الأساس من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو هداية البشر للحقائق وتعليمهم الوظائف والأحكام الإلهيّة، ومن الواضح والمعلوم أنّ التعليم والبيان يحصل من خلال الكلام تارة، ومن خلال الفعل تارة أخرى، والبيان من خلال الفعل قد يكون أقوى تأثيراً منه بالكلام، فلو فرض مخالفة النّبيّ لأقواله من خلال الفعل المناقض لها، فإنّ النّاس سيفقدون الثّقة بأقوال الأنبياءعليهم السلام، وبالتّالي سينتقض الغرض والهدف من بعثتهم، ونقض الغرض قبيح ومخالف للحكمة، فوجبت عصمة الأنبياءعليهم السلام لانحصار تحقّق الغرض من خلالها.

٢- دليل التّربية والتّزكية

إنّ من جملة وظائف وأدوار الأنبياء عليهم السلام دفع النّاس لتربية نفوسهم وتزكيتها، ووجود القدوة الحسنة والمثل الأعلى في عمليّة التزكيّة أمر لا بُدّ منه ولا غنى عنه، ولا يصحّ أن يكون القدوة إلّا من بلغ أسمى درجات الكمال الإنساني المتجليّة بالعصمة، إضافة إلى أنّ التزام المربّي وسلوكه الموافق لأقواله له الأثر الكبير في دفع الآخرين لتربية نفوسهم وتزكيتها، وعليه فإنّ تحقّق الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام بصورة كاملة باللّحاظ التّربوي لن يتحقّق دون العصمة في الأقوال والأفعال.

الأدلّة النّقليّة على العصمة:

لقد أولت الآيات القرآنيّة والرّوايات أهميّة كبرى لعصمة الأنبياء عليهم السلام، فورد العديد منها ممّا يمكن الاستدلال به على العصمة،

ولكن المقام يقتضي الاختصار والاقتصار على بعض الآيات.

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾[٤٢].

لقد أوجب اللّه تعالى على النّاس إطاعة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، ولم يرضَ- بمخالفتهم، والطّاعة المطلقة لا تتناسب مع احتمال وقوع الأنبياء عليهم السلام بالخطأ والانحراف بل تنافيها، إذ لو فرض وقوع الانحراف والخطأ فلا يبقى أيّ معنى للطّاعة؛ لأنّ الطّاعة حينئذ تعني أنّه تعالى يرضى بالانحراف وهو قبيح لا يفعله المولى عزَّ وجلَّ، فالطاعة المطلقة ملازمة للعصمة، لا تنفكّ عنها.

الآية الثّانية:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٤٣].

فلقد طلب النّبيّ إبراهيم عليه السلام منصب الإمامة لذريّته، أو سأل عمّن ينالها من ذريّته، فجاءه الجواب بأنّ المناصب الإلهيّة كالنّبوّة والإمامة لا ينالها من تلوّث ب- (الظلم)، ومن الواضح أنّ كلّ معصية هي ظلم للنّفس على كلّ حال؛ لأنّ المعصية إن لم تتعلّق بالغير كانت ظلماً للنّفس فقط، وإن تعلّقت بالغير كانت ظلماً للنّفس وللغير، وعليه فكلّ عاص ومذنب ظالم في المصطلح القرآني قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤٤]، فالآية تدّل على أنّ الأنبياء عليهم السلام منزّهون عن كلّ ظلم ومعصية وهو معنى العصمة وبهذا المقدار يظهر جليّاً، أنّ عصمة الأنبياءعليهم السلام أمرٌ ضروري عقلاً وقد أكّدته الآيات الّتي تمّ عرضها آنفاً.

تنبيه مهم

تقدّم أنّ العصمة ملكة نفسانيّة تمنع صاحبها من ارتكاب المعاصي مع قدرته عليها، فالعصمة حركة فرديّة، وكمال شخصيّ، يختصّ بصاحبه،

بينما الرسالة والإمامة تفرضها حاجة المجتمع إلى التّشريع والقيادة اللّذان يتحقّقان بالرسالة والإمامة. فقد يتحلّى الإنسان بالعصمة من دون أن يكون نبيّاً أو إماماً وذلك لعدم حاجة المجتمع إليهما،

كل نبي وإمام معصوم، وليس العكس:

وعليه؛ فكلّ نبيّ أو إمام معصوم، وليس كلّ معصوم يجب أن يكون نبيّاً أو إماماً،

٤٢ - سورة النساء، الآية: ٦٤.
٤٣ - سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
٤٤ - سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

ومن هنا قال الشّيعة بعصمة الزهراء عليها السلام، وعصمة السّيّدة مريم عليها السلام، وذلك لقيام الدّليل على عصمتهما،

وقد يوجد من هو معصوم غيرهما إلّا أنّ التّمييز بين المعصوم وغيره يتوقّف على البيان الإلهي؛ لأنّه تعالى هو المطّلع على هذه الصّفة دون غيره.

خلاصة الدرس

- من الأدلّة العقليّة على العصمة:

١- الهداية والتعليم: حيث إنّ من أهداف بعثة الأنبياءعليهم السلام الهداية والتعليم، فلو فرض معصية الأنبياء عليهم السلام لفقد الناس الثقة بهم، وبالتالي انتقض الغرض من بعثتهم ونقض الغرض قبيح ومخالف للحكمة.

٢- التربية والتزكية: حيث إنّ من أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام التربية والتزكية، فلو فرض معصيتهم، لفقد الناس القدوة، والّتي لها دور كبير في عمليّة التربية والتزكية.

- من الأدلّة النقليّة على العصمة:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ × إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤٥] والأنبياء عليهم السلام هم من المخلَصين فلا يقعون تحت غواية الشيطان.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾[٤٦] والأمر بإطاعة الأنبياءعليهم السلام مطلقاً لا يتناسب مع معصيتهم.

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٤٧] فالمناصب الإلهيّة كالنبوّة والإمامة لا ينالها الظالم، والظالم بالمصطلح القرآنيّ هو كلّ عاصٍ ومذنب.

أسئلة حول الدرس

١- أذكر أحد الدليلين العقليّين على عصمة الأنبياء عليه السلام.

٢- قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ × إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، كيف تستدلّ بهذه الآية على العصمة؟

٣- بيّن كيفيّة الاستدلال بآية الابتلاء على العصمة؟

٤- هل يلزم أن يكون كلّ معصوم نبيّاً أو إماماً، ولماذا؟

٤٥ - سورة ص، الآيتان: ٨٢ ٨٣.

٤٦ - سورة النساء، الآية: ٦٤.

٤٧ - سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

الدرس الحادي عشر:

شبهات حول العصمة

الدرس الحادي عشر
شبهات حول العصمة

أهداف الدرس:

١.أن يتعرف الطالب إلى قواعد فهم مراد المتكلم.

٢. أن يفرق بين نوعي الأوامر الإلهية.

تمهيد

هناك عدد من الآيات القرآنيّة نسبت صدور أفعال من الأنبياء عليهم السلام، قد يظهر منها ما ينافي عصمتهم، إضافة إلى ما ورد عنهم عليهم السلام وعن الأئمّة عليهم السلام في أدعيتهم ومناجاتهم من الاستغفار والتّوبة، الّذي يوهم ارتكابهم المعاصي واقترافهم للذّنوب. فكيف نتعامل مع هكذا نصوص؟

الجواب:

من خلال توضيح هذه الأمور سيتضح الجواب:

أولا: إنّ الأوامر والنواهي الإلهية تنقسم إلى قسمين:

١- **أوامر ونواه مولويّة:** وهي تكاليف شرعيّة إلزامية يترتّب على مخالفتها الذّم والعقاب، ومخالفة هذه التّكاليف هو الّذي يتنافى مع العصمة.

٢- **أوامر ونواهٍ إرشادية:** وإنّما هي مجرّد إرشاد وتوجيه للمصلحة والمفسدة في المأمور به والمنهي عنه، ولذلك لا يترتّب على مخالفتها العقاب، بل يتحمّل المخالف لها الآثار الوضعيّة والتكوينيّة المترتّبة عليها، وحالها حال نهي الطّبيب مريضه عن تناول طعام معيّن، فلو خالف المريض نهي الطبيب فإنّه لا يترتّب عليه عقاب ولكنّه يتحمّل الآلام المترتّبة على تناول الطّعام المنهي عنه.

وعليه فارتكاب هذا القسم من المخالفة لا ينافي العصمة، فإنّه قد لا يترتّب عليه لوم وعتاب فضلاً عن الذّمّ والعقاب.

ثانيا: ترك الأولى:

يجب إعادة التأكيد على أنّ الفعل الّذي يتنافى مع العصمة، هو خصوص الفعل المحرّم شرعاً، أو ترك الواجب كذلك، أمّا ما يصطلح عليه بـ- "ترك الأولى" فإنّه لا ينافي العصمة، فالإنسان المؤمن إذا ارتقى في درجات الإيمان، فلم يترك صلاة اللّيل مثلاً لسنوات، فإذا نام عنها ولو لمرّة واحدة، ستجده واقفاً بين يدي ربّه مستغفراً تائباً. وكأنّه ارتكب فعلاً محرّماً بل قد يشعر شعور المذنب حقيقة، فإذا كان هذا حال الإنسان العادي فكيف بالأنبياء عليهم السلام والأئمّة عليهم السلام

وغيرهم من المعصومين عليهم السلام، فإنّهم يشعرون بالذّنب لمجرّد الالتفات عن الخالق ولو كان التفاته لسبب ضروري، لأنّ له من المعرفة والارتباط بالله تعالى والشّوق للمثول بين يديه، ما لا يدركه غيرهم من البشر مهما بلغوا في مراتب عبوديّتهم.

ثالثا: إيّاك أعني واسمعي يا جارة

إنّه ممّا لا شكّ ولا ريب فيه أنّ من أهمّ وظائف الأنبياء والأئمة عليهم السلام هو دور تربية النّاس ودفعهم لتزكية أنفسهم، وتعليمهم كيفيّة التّعامل مع أنفسهم ومع ربّهم ومع المجتمع، ومن المعروف أنّ من جملة الأساليب التربويّة- في بعض الحالات- هو توجيه الخطاب لشخص ويراد به غيره، وذلك لأكثر من سبب. منها فتح قلوب الناس وعقولهم لإدراك المبادئ والقيم بشكل موضوعي، إذ إنّ توجيه الخطاب بشكل مباشر يدفع النّفوس المريضة لعدم التأمّل في المفاهيم والقيم بشكل صحيح، بل تستنفر طاقاتها للدّفاع عن ذاتها، لا لمحاكمتها، فتنصرف النّفس حينئذ عن إدراك الغاية وفهم المعنى، ولذلك استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب الّذي عبّر عنه الإمام الصّادق عليه السلام بقوله: "إنّ الله بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جارة فالمخاطبة للنّبيّ والمعنى للنّاس"[٤٨].

خلاصة الدّرس

- ورد بعض الآيات والروايات الّتي توهم نسبة صدور أفعال من الأنبياءعليهم السلام تنافي عصمتهم، بالإضافة إلى ورود أدعية ومناجاة عنهم وعن الأئمّة عليهم السلام توهم اقترافهم للذنوب، **الجواب:**

أ- إنّ فهم مراد المتكلّم يعتمد على القرائن المحيطة بكلامه سواء كانت قرائن لفظيّة أم حاليّة أم عقليّة، ولا يُقتصر في فهم المراد على ظاهر الكلام بما هو بغضّ النظر عن القرائن. فالقرائن تُحدِّد المعنى الحقيقي من الكلام.

ب- الأوامر والنواهي المنافي مخالفتها للعصمة هي الأوامر والنواهي المولويّة الإلزاميّة لا الإرشاديّة الّتي لا يترتّب عليها الذمّ والعقاب.

ج- ترك الأولى لا ينافي العصمة لأنّه لا إلزام فيه.

د- الذنب والمعصية تُطلق لغة على الأعمّ من الحرام.

هـ- هناك خطابات موجّهة للمعصوم بظاهرها فيها شدّة ومؤاخذة، وما هذا إلّا من باب: "إيّاك أعني واسمعي يا جارة". فليس المراد توجيه الكلام إلى المعصوم إنّما إلى الناس بشكل عام، وذلك لما لهذا الإسلوب من فائدة تربويّة، حيث إنّ التوجيه المباشر للشخص قد يُسبِّب نفوراً لديه عن سماع الموعظة.

---

٤٨ - تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج٤، ص٢٣٤.

أسئلة حول الدرس

١- ما هي المسائل الّتي ينبغي مراعاتها لفهم مراد المتكلّم؟

٢- ما هو الفعل الّذي يتنافى مع العصمة؟

٣- بيّن أقسام الأوامر والنواهي الإلهيّة، وما هي الآثار المترتّبة عليها.

٤- لماذا اعتبر البعض أنّ استعمال كلمة (ذنب) و(معصية) بحقّ المعصومين يتنافى مع عصمتهم؟

٥- لماذا استخدم تعالى أسلوب (إيّاك أعني واسمعي يا جارة)؟

الدرس الثاني عشر:

ختم النّبوّة

الدرس الثاني عشر
ختم النّبوّة

أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل على ختم النبوة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. أن يستذكر السر في ختم النبوة.

تمهيد

من الواضح عند المسلمين قاطبة أنّ الدّين الإسلامي غير مختصّ بمنطقة دون أخرى ولا بجماعة وقوم دون غيرهم، وهو دين باقٍ إلى قيام السّاعة، وهذا ما يستفاد من الخطاب القرآني الموجّه لجميع النّاس من خلال آيات كثيرة مثل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾[٤٩] و﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٥٠] ، فهو خطاب موجّه لكلّ النّاس وفي كلّ زمان ومكان.

وكذلك الرّوايات كما في قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة"[٥١].

فالإسلام دين عالميّ وخالد، وهذان الأمران يعدّان من ضروريّات الدّين الإسلاميّ ومن المعلوم أنّ الضّروريّات الدّينية لا تحتاج إلى دليل، وبملاحظة خلود الدين الإسلامي لا يبقى أيّ احتمال لبعثة نبيّ آخر ينسخ الشريعة الإسلاميّة، ولكن يبقى احتمال بعثة نبيّ آخر يقوم بمهمّة تبليغ الإسلام ونشره...

ومن هنا يلزم علينا البحث عن ختم النبوّة بنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى لا يبقى مجال لمثل هذا الاحتمال. وهذه المسألة وإن كانت من الضروريات الدينية أيضاً الّتي لا تحتاج إلى استدلال، ولكن مع ذلك يمكن استفادتها من القرآن الكريم والروايات الشريفة.

الدّليل القرآنيّ

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [٥٢]

فإن قيل: إنّ الآية دلّت على ختم النّبوّة بالنّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولم تدّل على ختم (الرّسل) والجواب واضح بعد التّأمل في معنى النّبيّ ومعنى الرّسول، فإنّ النّبيّ أعمّ من الرّسول، فكلّ رسول نبيّ وليس كلّ نبيّ رسولاً، فلا وجود لرسول ليس نبيّاً، وعليه فنفي النّبوّة نفي للرّسالة

٤٩ - سورة الأعراف، الآيات: ٢٦-٢٧-٢٨-٣١-٣٥، سورة يس، الآية: ٦٠.

٥٠ - سورة الأنعام، الآية: ٩٠، سورة يوسف، الآية: ١٠٤، سورة ص، الآية: ٨٧، سورة التكوير، الآية: ٢٧، سورة القلم، الآية: ٥٢.

٥١ - الكافي، الشيخ الكليني،ج١، ص٥٨- ج٢، ص١٧.

٥٢ - سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

بطريق أولى، إذ إنّ نفي الأعمّ نفي للأخصّ دون العكس. فعندما تقول مثلاً: لا إنسان (الأعمّ) موجود في البيت، فهذا يعني لا وجود لا لرجل (أخصّ) ولا لامرأة (أخصّ)، وإن قلت: لا امرأة موجودة في البيت، فإنّ هذا لا يعني نفي وجود إنسان، إذ قد يوجد في الدّار رجل. وعليه فنفي النبيّ من بعده صلى الله عليه وآله وسلم نفي للرسول أيضاً فلا نبيّ من بعده ولا رسول.

الأدلّة الرّوائيّة على ختم النّبوّة

ورد التّصريح والتّأكيد على ختم النّبوّة بنبيّ الإسلام في المئات من الرّوايات، منها حديث المنزلة[٥٣] الّذي نقله الشّيعة وأهل السّنة متواتراً عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بحيث لا يبقى معه أيّ شكّ في صدور مضمونه، وذلك حين خرج النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وخلف عليّاً عليه السلام مكانه في المدينة، فبكى علي عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ"[٥٤].

وفي رواية أخرى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "أيّها النّاس، لا نبيّ بعدي ولا أمّة بعدكم"[٥٥].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: "أيّها النّاس إنّه لا نبيّ بعدي، ولا سنّة بعد سنّتي"[٥٦].

ونقل هذا المعنى في أكثر من خطبة من نهج البلاغة[٥٧]، وفي الرّوايات والأدعية والزّيارات المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

خلاصة الدرس

- إنّ الدِّين الإسلامي شامل عامّ خالد، فهو لكلّ البشر ولكلّ زمان ومكان، فالقرآن لطالما خاطب جميع الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس﴾، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمّد حرام إلى يوم القيامة".

- من الأدلّة على ختم النبوّة بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

قرآنياً: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

روائيّاً: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليّ عليه السلام: "أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ".

٥٣ - صحيح البخاري، ج ٣، ص ٥٨.

٥٤ - صحيح البخاري، ج٤، ص٢٠٩ - ج٥، ص١٢٩.

٥٥ - وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ١، ص ١٥.

٥٦ - م.ن، ج ١٨، ص ٥٥٥.

٥٧ - نهج البلاغة، الخطبة الأولى والخطبة ٦٩، و٨٣، و٨٧، و١٢٩، و١٦٨، و١٩٣، و٢٣٠.



الدرس الثالث عشر:

الإمـامـة (١)

الدرس الثالث عشر
الإمامة

أهداف الدرس:

١. أن يحدد الطالب موضع الخلاف الرئيس بين السنة والشيعة في مسألة الخلافة.

٢. أن يعدد النتائج المترتبة على رأي السنة في مسألة الخلافة.

٣. أن يتعرف إلى معنى الإمامة.

تمهيد

إقامة النبي(ص) لدعائم المجتمع الإسلامي:

إنّ النّبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم بعد هجرته من مكّة إلى المدينة، ودفاع أهل المدينة المستميت عنه، وعن المسلمين الّذين هاجروا من مكّة- والّذين سُمُّوا بـ- (المهاجرين)، بينما سُمّي أهل المدينة بـ- (الأنصار)- وضع دعائم وأسس المجتمع الإسلامي وقام بإدارته.

وكان مسجد النبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم ملجأ للمهاجرين والمحرومين، ولمعالجة قضاياهم ومشاكلهم الاقتصادية والمعيشيّة، إضافة إلى كونه موضعاً للعبادة، ومنطلقاً لنشر الرّسالة الإلهيّة وتعليم النّاس وتربيتهم، ومعالجة الخصومات والمسائل القضائيّة، ومركزاً لإصدار القرارات العسكريّة، وتزويد جبهات الحرب بالعدّة والعدد، وإسناد الجبهات، ومعالجة سائر القضايا الحكوميّة.

النبي(ص) يدير شؤون المسلمين وقضاياهم:

وبإيجاز كانت إدارة شؤون النّاس وقضاياهم الدّينيّة والدّنيويّة تتمّ على يد النّبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم. وكان المسلمون يرون أنفسهم مكلّفين بإطاعة تعاليم النّبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم وأوامره، لأنّ اللّه تعالى- إضافة لفرضه إطاعة الرّسول المطلقة عليهم[٥٨] — كان قد أصدر أوامر مؤكّدة على وِلاية الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم وقيادته للأمّة[٥٩] في خصوص المسائل والمجالات السّياسيّة والقضائيّة والعسكريّة.

وبعبارة أخرى: إنّ النّبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم إضافة لمنصب النّبوّة والرّسالة، ومنصب تعليم الأحكام وتبيينها، كان يملك منصباً إلهيّاً آخر، هو قيادة الأمّة الإسلاميّة والوِلاية عليها، وتتفرّع منها مناصب أخرى، كالقضاء والقيادة العسكريّة وغيرهما.

---

٥٨ - ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ سورة آل عمران: الآية ٣٢، وانظر أيضاً السور التالية: النساء: ١٢، و١٤، و٦٩ و٨٠، والمائدة: ٩٢، والأنفال: ١، و٢٠ و٤٦، والتوبة: ٧١، والنور: ٥١، ٥٤، و٥٦، والأحزاب: ٦٦، و٧١، والحجرات: ١٤، والفتح: ١٦، و١٧، ومحمّد: ٣٢، والمجادلة: ١٢، والممتحنة: ١٢، والتغابن: ١٢، والجنّ: ٢٣.

٥٩ - ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ ..﴾ سورة المائدة: ٤٨، وانظر أيضاً السور التالية: آل عمران: ١٥٢، والنساء: ٤٢، و٥٩، و٦٥، و١٠٥، والحج: ٦٧، والأحزاب: ٦، ٣٦، والمجادلة: ٨٩، والحشر: ٧.

النبي (ص) مكلّف بالتبليغ وتنفيذ الأحكام

وكما أنّ الدّين الإسلاميّ اشتمل على الوظائف والتّعاليم العباديّة والأخلاقيّة، فهو كذلك اشتمل على الأحكام السّياسيّة والاقتصاديّة والحقوقيّة وغيرها. كما كان نبيّ الإسلام مكلّفاً بوظائف التّبليغ ومهامّ التّعليم والتّربية، وكذلك كان مكلّفاً- من قبل الله- بمهمّة تنفيذ الأحكام والتّشريعات الإلهيّة وتطبيقها وكان بيده زمام كلّ المهامّ والمناصب الحكوميّة.

قيادة الدين للبشرية حتى نهاية العالَم:

ومن البديهيّ أنّ الدّين الّذي يدّعي قيادة البشريّة كلّها حتّى نهاية العالم، لا يمكنه عدم الاهتمام بهذه المسائل والقضايا، ولا يمكن للمجتمع القائم على أساس هذا الدّين أن يفتقد مثل هذه المهامّ والمناصب السّياسيّة والحكوميّة، هذه المناصب والمسؤوليّات الّتي يشملها جميعاً عنوان (الإمامة). ولكن الحديث هو عمّن يقوم بهذه المهمّة بعد وفاة الرسول؟ ومن الّذي يعيّن مثل هذا الشّخص في هذا المنصب؟

فهل الله تعالى هو الّذي ينصّب الإمام كما ينصّب النّبيّ، أم أنّ النّاس هم الّذين ينتخبون الإمام؟ يعني هل مشروعيّة الإمام في منصبه مستمدّة من الله بالتّعيين أو من النّاس بالانتخاب؟

الإمامة بين السنّة والشيعة

وهذه هي النّقطة الرّئيسة في الخلاف بين الشّيعة وأهل السّنّة.

رأي الشيعة في الإمامة:

فالشّيعة تعتقد بأنّ الإمامة منصب إلهيّ، لا بدَّ وأن ينصّب فيه الأفراد الصالحون لذلك من قبل الله تعالى، وقد قام الله تعالى بهذا التّعيين بواسطة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث عيّن أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام خليفة له من بعده مباشرة، وعيّن من بعده أحدَ عشر إماماً من أولاده خلفاء من بعده.

رأي أهل السنّة في الإمامة:

ولكن أهل السّنّة يعتقدون بأنّ الإمامة الإلهيّة- كالنّبوّة والرّسالة- قد انتهت بوفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد أوكل للنّاس مهمّة تعيين الإمام من بعده، بل صرّح بعض كبار علماء أهل السّنّة، أنّه لو سيطر أحد بقوّة السلاح على النّاس وأمسك بزمام أمورهم، فتجب على الآخرين إطاعته[٦٠].

نتائج رأي السنّة

ومن الواضح أنّ مثل هذه الآراء تفتح الأبواب أمام الجبابرة والطّواغيت والمحتالين للتّوصّل إلى مطامعهم ومآربهم، وتوفّر عوامل التّمزّق والانحطاط والتّخلّف بين المسلمين. وفي الواقع إنّ أهل

٦٠ - الأحكام السلطانيّة، أبو يعلى، وترجمة (السواد الأعظم) لأبي القاسم السمرقندي، ص ٤٠-٤٢.



السّنّة باعتقادهم شرعيّة الإمامة بدون التعيين الإلهيّ قد وضعوا الحجر الأساس لفكرة عزل الدّين عن السّياسة. وباعتقاد الشّيعة أنّ هذا الأمر هو المنعطف الخطير للانحراف عن المسير الإسلاميّ الأصيل والصّحيح، وعن عبادة الله في جميع الجوانب والأبعاد الحياتيّة، وكذلك كان منطلقاً للكثير من الانحرافات الأخرى الّتي ظهرت بين المسلمين من حين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وجوب البحث

من هنا، كان من الواجب على كلّ مسلم البحث في هذا الموضوع بكلّ اهتمام، وبعيداً عن كلّ تقليد وعصبيّة؛ وأن يحاول جهده في اكتشاف المذهب الحقّ والدّفاع عنه،

وأن يتجنّب أتْبَاعُ المذاهب المختلفة التفرقةَ والصّراعَ والتّناحرَ، ممّا يُمهّد الطّريق ويُوفّر الظّروف الملائمة لأعداء الإسلام لتحقيق أطماعهم والوصول لمآربهم.

ويلزم عدم ممارسة الأعمال الّتي توسّع من شقّة الخلاف بين صفوف المسلمين، فيتزعزع بها تلاحمهم وقوّتهم تجاه الكفّار، بحيث لا تعود مفاسده وأضراره الخطيرة إلّا على جميع المسلمين، ولا تؤدّي إلّا إلى ضعف الأمّة الإسلاميّة،

ولكن الحفاظ على الوحدة والتّلاحم بين المسلمين ينبغي أن لا يكون عائقاً ومانعاً من البحث الموضوعيّ وبذل الجهود المخلصة، في سبيل التّعرف على المذهب الحقّ، وتوفير الظّروف الملائمة والأجواء الصّالحة لدراسة مسائل الإمامة ومعالجتها دون إثارة العصبيّات، هذه المسائل الّتي يكون لمعالجتها الصّحيحة دورها الفاعل في مصير المسلمين وسعادتهم في الدّنيا والآخرة.

خلاصة الدرس

- إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبالإضافة إلى منصب النبوّة والرسالة وتعليم الأحكام وتبليغها، كان يملك منصباً تنفيذيّاً وهو الإمامة والقيادة للأمّة الإسلاميّة والّتي يتفرّع منها مناصب أخرى كالقضاء والقيادة العسكريّة وغيرهما.

- نقطة الخلاف الرئيسة بين السنّة والشيعة، أنّ منصب الإمامة- عند الشيعة هو منصب إلهيّ موقوف على التعيين الإلهيّ بواسطة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وقد عيّن صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام خليفة له ثمّ أبناءه من بعده أحد عشر إماماً.

أمّا أهل السنّة فيعتقدون أنّ الإمامة الإلهيّة قد انتهت بوفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد أوكل للناس مهمّة تعيين الإمام من بعده.

الدرس الرابع عشر:

الإمـامـة (٢)

الدرس الرابع عشر
الامامة

مفهوم الإمامة

الإمامة في اللّغة: هي الرِّئاسة وكلّ من يتصدّى لرئاسة جماعة يُسمّى (الإمام)، سواء كان في طريق الحقّ أم الباطل، وقد أطلق مصطلح (أئمّة الكفر)[٦١] في القرآن الكريم على رؤساء الكفّار، وأطلق على من يقتدي به المصلّون (إمام الجماعة).

والإمامة في مصطلح علم الكلام عبارة عن: الرِّئاسة العامّة الشّاملة على الأمّة الإسلاميّة وقيادتها في جميع الأبعاد والمجالات الدّينيّة والدّنيويّة.

وإنّما ورد ذكر كلمة (الدّنيويّة) لأجل التّأكيد على سعة ميدان الإمامة ومجالها، وإلّا فإنّ تدبير القضايا الدّنيويّة للأمّة الإسلاميّة وإدارتها يعدُّ جزءً من الدّين الإسلاميّ. وهذه الرّئاسة والقيادة- في رأي الشّيعة- إنّما تكون شرعيّة فيما لو كانت من قبل الله تعالى، ولا يكتسب أيّ شخص مثل هذا المقام أصالة (لا نيابة) إلّا إذا كان معصوماً عن الخطأ في بيان الأحكام والمعارف الإسلاميّة، ومنزّهاً من الذّنوب والمعاصي. وفي الواقع إنّ الإمام المعصوم يمتلك كلّ مناصب ووظائف النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سوى النّبوّة والرّسالة، وكما أنّ أحاديث النّبيّ حجّة في بيان الحقائق والتّشريعات والأحكام والمعارف الإسلاميّة، وتجب إطاعة أوامره وأحكامه في مختلف القضايا الحكوميّة، كذلك الأمر في الإمام المعصوم عليه السلام.

ومن هنا يتبيّن أنّ اختلاف الشّيعة عن أهل السّنّة في موضوع الإمامة في ثلاث مسائل:

١- إنّه لا بُدّ من نصب الإمام وتعيينه من قبل الله تعالى.

٢- إنّه لا بُدّ وأن يملك الإمام العلم الموهوب له من الله، وأن يكون مصاناً عن الخطأ.

٣- إنّه لا بُدّ وأن يكون معصوماً من المعصية.

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كمّلًا فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٦٢]. وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٦٣]، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله وسلم حتّى بيّن لأمّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحقّ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله -عزَّ

---

٦١ - ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ سورة التوبة: الآية ١٢

٦٢ - سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

٦٣ - سورة المائدة: الآية: ٦٧.

وجلَّ-".

خلاصة الدرس:

- **الإمامة لغةً:** الرئاسة، وكلّ من يتصدّى لرئاسة جماعة يُسمّى إماماً، سواء كان في طريق الحقّ أم الباطل.

وفي اصطلاح علم الكلام: الرئاسة العامّة الشاملة على الأمّة الإسلامية وقيادتها في جميع الأبعاد الدينيّة والدنيويّة.

والاختلاف بين الشيعة والسنّة في موضوع الإمامة في ثلاث مسائل:

١- لا بدّ من تعيين الإمام من الله تعالى بواسطة النبيّ.

٢- لا بّد أن يملك الإمام العلم الموهوب من الله سبحانه، وأن يكون مصاناً عن الخطأ.

٣- لا بدّ أنّ يكون معصوماً عن المعصية.

أسئلة حول الدرس

١- تحدّث حول المنصب الّذي كان يتولّاه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إضافةً إلى النّبوّة والرّسالة.

٢- استعرض- باختصار- مفهوم الإمامة لغةً واصطلاحاً.

٣- ما هي نقطة الخلاف الرئيسة بين الشيعة والسّنّة حول الإمامة؟

٤- ومن الجدير بالذكر أن العلماء الكبار كتبوا في هذا المجال الكثير من الكتب والدراسات وبمختلف اللغات، وبأساليب عديدة، ومهدوا طريق الحقّ للباحثين عن الحقيقة، نذكر نماذج منها أمثال: كتاب عبقات الأنوار، والغدير، ودلائل الصدق، وغاية المرام وإثبات الهداة، ونحث من لم تسمح له الظروف بالتحقيق والتوسع على مطالعة كتاب (المراجعات)، وهو مجموعة من الرسائل بين عالمين من علماء الشيعة وأهل السنّة، وكتاب (أصل الشيعة وأصولها).

٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١، ص٢١٦.



الدرس الخامس عشر:

الأدلّة العقلية على عصمة الإمام وعلمه

الدرس الخامس عشر
الأدلّة العقلية على عصمة الإمام وعلمه

ومن خلال هذه الملاحظات يتّضح أنّه يمكن طرح الدّين الإسلامي كدين كامل وشامل يستجيب لكلّ الاحتياجات ولجميع البشر، حتّى نهاية العالم، فيما لو افترض وجود طريق لتوفير المصالح الضّروريّة للأمّة في داخل الدّين نفسه، تلك المصالح الّتي يمكن أن تتعرّض للتّهديد والتّدمير مع وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يتمثّل هذا الطّريق إلّا في تعيين الخليفة الصّالح للرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، هذا الخليفة الّذي يملك العلم الموهوب من الله، ليُمكّنه بيان الحقائق الدّينيّة بكلّ أبعادها وخصوصيّاتها، ويتمتّع بملكة العصمة، حتّى لا يخضع لتأثير الدّوافع النفسانيّة والشّيطانيّة، وحتّى لا يرتكب التّحريف العمدي في الدّين، وكذلك يمكنه القيام بالدّور التّربوي الّذي كان يمارسه النّبيّ، سيّما مع الأفراد المؤهّلين، ولإيصالهم إلى أرفع درجات الكمال. وكذلك- حين تتوفّر الظّروف الاجتماعيّة الملائمة- يتصدّى للحكومة وتدبير الأمور العامّة في الأمّة الإسلاميّة، وتنفيذ التّشريعات الاجتماعية الإسلاميّة، وتطبيقها ونشر الحقّ والعدالة في العالم.

والحاصل: إنّ ختم النّبوّة إنّما يكون موافقاً للحكمة الإلهيّة فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، هذا الإمام الّذي يمتلك خصائص نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم كلّها عدا النّبوّة والرّسالة.

وبذلك تثبت ضرورة وجود الإمام، وكذلك ضرورة توفّره على العلم الموهوب من الله، ومقام العصمة، ولزوم تعيينه ونصبه من قبل الله، تعالى لأنّه عزَّ وجلَّ وحده الّذي يعرف الشّخص الذي أُفيض عليه هذا العلم والعصمة، وهو الّذي يملك حقّ الولاية على عباده أصالة، ويمكنه منح مثل هذا الحقّ في درجة أدنى لأفراد يتمتّعون بشروط معيّنة.

فإذاً، كما حَكَمَ العقل بلزوم عصمة النّبيّ وغيرها من الصّفات الكماليّة، يحكم أيضاً بضرورتها لكلّ من يتولّى وظائف وأدوار النّبيّ، عدا الصّفات المختصّة به كنبيّ وذلك كالوحي الّذي ثبت أنّه لا يكون إلا للنبيّ دون غيره ولو كانوا أصحاب عصمة.

عثرات الخلفاء عند السنّة

وممّا يلزم التأكيد عليه، أنّ غير الشيعة لا يقولون بمثل هذه الخصائص لأيّ خليفة من الخلفاء، فلا يدّعون نصبه وتعيينه من الله تعالى والنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ولا توفّر الخلفاء على العلم الموهوب من الله، ولا ملكة العصمة.

بل إنّهم نقلوا في كتبهم المعتبرة عثراتهم واشتباهاتهم وعجزهم عن الإجابة على أسئلة النّاس الدّينيّة. أمّا عثرات وخلفاء بني أميّة وبني العبّاس، فهي أوضح من أن تذكر، ويعرفها كلّ من له أدنى اطّلاع على تاريخ المسلمين. والشّيعة وحدهم الّذين يعتقدون بوجود الشّروط الثّلاثة في الأئمّة

الاثني عشر من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. ويثبت ممّا ذكرنا صحّة اعتقادهم في مسألة الإمامة، ولا يحتاج ذلك للأدلّة الموسّعة والمفصّلة، ومع ذلك ستتمّ الإشارة في الدّرس القادم إلى بعض الأدلّة المقتبسة من الكتاب والسّنّة.

الإمامة منزلة الأنبياء عليهم السلام

ورد عن الإمام الرّضا عليه السلام في مقطع من رواية عبد العزيز عنه عليه السلام: "إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء عليهم السلام وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله عزَّ وجلَّ، وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين عليهم السلام، إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصّيام والحجّ، والجهاد، وتوفير الفيء، والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثُغور والأطراف. الإمام يُحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة. الإمام كالشّمس الطّالعة للعالم وهي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير، والسّراج الزّاهر والنّور السّاطع، والنّجم الهادي في غياهب الدّجى، والبيدِ القفارِ، ولججِ البحار"[٦٤].

خلاصة الدرس

نُثبت ضرورة وجود الإمام بالبيان التالي:

أ- الأنبياء عليهم السلام أُرسلوا لهداية الناس وتربيتهم وللقيام بتنفيذ الأحكام والتشريعات إذا توفّرت الظروف.

ب- النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بُعث لهذه الأهداف وتميّز بأنّ رسالته عالميّة عامّة خالدة خاتمة، لا تُنسخ، ولا نبيّ بعد نبيّنا كما بيّنت الآيات والروايات.

فلا بدّ إذاً من وجود إمام يحمل مواصفات يستطيع من خلالها تكميل مهمّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- ختم النبوّة إنّما يكون موافقاً للحكمة الإلهيّة فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، هذا الإمام ينبغي أن يمتلك خصائص نبيّ الإسلام ما عدا النبوّة والرسالة.

- ينبغي أن يكون الإمام بتعيين الله تعالى واختياره، كما كان النبيّ مختاراً منه سبحانه، وكذلك ينبغي أن يتوفّر على العلم الموهوب من الله والعصمة عن الخطأ والذنب.

- السنّة لا يعتبرون في إمامهم ما تقوله الشيعة، ولذلك نرى أنّهم نقلوا في كتبهم عشرات الخلفاء.

---

٦٤ - الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص١٩٨- ٢٠٢.

أسئلة حول الدرس

١- لماذا يعتبر الشّيعة الإمامة أصلاً عقائديّاً؟

٢- بيّن فكرة ضرورة وجود الإمام.

٣- متى يكون ختم النّبوّة موافقاً للحكمة الإلهيّة؟

٤- اذكر الدليل العقلي على لزوم عصمة الإمام.

الدرس السادس عشر:

تعيين الإمام

الدرس السادس عشر
تعيين الإمام

أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. أن يستذكر الدليل على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام

تمهيد

تقدّم في الدّرس السّابق أنّ ختم النّبوّة بدون نصب الإمام المعصوم وتعيينه مخالف للحكمة الإلهيّة، وأنّ إكمال الدّين الإسلاميّ العالمي الشامل والخالد مرتبط بتعيين الخلفاء الصّالحين بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمّا في هذا الدرس فسنتناول الآيات القرآنيّة والروايات الدالّة على هذا الأمر.

الدليل القرآني والروائي:

ويمكن استفادة هذه الفكرة من الآيات القرآنيّة الكريمة والرّوايات الكثيرة الّتي نقلها الشّيعة وأهل السّنّة في تفسير هذه الآيات.

١ - منها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[٦٥].

وقد اتّفق المفسّرون جميعاً على نزول هذه الآية في حجّة الوداع، أي قبل وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم بعدّة أشهر، وبعد أن تشير الآية ليأس الكفّار من إلحاق الضّرر بالإسلام ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ تؤكّد إكمال الدّين في ذلك اليوم، وإتمام النّعمة. ومع ملاحظة الكثير من الرّوايات الواردة في شأن نزول هذه الآية، يتّضح جلياً أنّ الإكمال والإتمام الّذين اقترنا بيأس الكفّار من إلحاق الضّرر بالإسلام، إنّما تحقّقا بنصب خليفة للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الله تعالى، وذلك لأنّ أعداء الإسلام كانوا يتوقّعون بقاء الإسلام بدون قائد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- وخاصّة مع عدم وجود الأولاد الذّكور للرّسول صلى الله عليه وآله وسلم- وبذلك يكون معرضاً للضّعف والزّوال، بيد أنّ الإسلام قد بلغ كماله بتعيين خليفة للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فتمّت بذلك النّعمة الإلهيّة وانهارت أطماع الكافرين وآمالهم[٦٦].

وقت تعيين الإمام علي(ع):

وقد تمّ هذا التّعيين حين رجوع النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من حجّة الوداع. فقد جمع الحجّاج

---

٦٥ - سورة المائدة، الآية: ٣.

٦٦ - للتوسع أكثر حول دلالة هذه الآية يراجع تفسير الميزان، ج ٥، ص ١٥٦ وما بعدها، المصحّح.

كلّهم في موضع يقال له (غدير خم)، وخلال إلقائه خطبته الطّويلة عليهم، سألهم: "ألست أولى بكم من أنفسكم"[٦٧] قالوا: "بلى" ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام ورفعها أمام النّاس وقال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه"، وبهذا أثبت للإمام عليه السلام الولاية الإلهيّة فبايعه جميع الحاضرين، ومنهم الخليفة الثّاني الّذي هنّأه بقوله: "بخ بخ لك يا عليّ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة"[٦٨].

وعقيب هذا التنصيب الإلهي نزلت الآية الشريفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾، فكبّر الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال: "تمام نبوّتي وتمام دين الله ولاية عليّ بعدي".

إشارة الروايات إلى تعيين الإمام علي(ع)

وورد في رواية نقلها أحد علماء أهل السّنّة الكبار (الحمويني): "فقام أبو بكر وعمر وقالا: يا رسول الله هذه الآيات خاصّة في عليّ عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "بلى، فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة"، قالا: يا رسول الله بينّهم لنا، فقال: "عليّ أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في أمّتي، ووليّ كلّ مؤمن من بعدي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ ابني الحسين، ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين، واحداً بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردوا علي الحوض"[٦٩].

ويستفاد من روايات عديدة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان مأموراً قبل ذلك بالإعلان الرسمي عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام على الرأي العامّ، لكنّه كان يخشى حمل النّاس مثل هذا العمل منه على رأيه الشّخصي، واتهامه أنّه ما كان تنصيب عليّ عليه السلام إلّا لقرابته منه صلى الله عليه وآله وسلم فيعرضون عنه ولا يتقبّلونه؛ ولذلك كان يبحث عن فرصة مناسبة، تتوفّر فيها ظروف الإعلان عن مثل هذا الحدث المهمّ والخطير، حتّى نزلت الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٧٠].

فمن خلال التّأكيد على ضرورة إبلاغ هذا النداء الإلهي- الّذي هو بمستوى كلّ النداءات الإلهيّة الأخرى، وعدم إبلاغه يساوي عدم إبلاغ الرّسالة الإلهيّة كلّها- قد بشّره الله بأنّه سيعصمه ويحفظه من جميع الآثار والمضاعفات المتوقّعة من هذا العمل الّذي سيزعج الكثير من الناس الّذين لا يريدون الخير للأمّة. وقد أدرك النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم- مع نزول هذه الآية- حصول الزّمان المناسب للقيام بهذه المهمّة، وليس من الصّالح تأخيرها، ومن هنا بادر في غدير خم للقيام بها[٧١].

٦٧ - يشير بذلك للآية (٦) من سورة الأحزاب ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

٦٨ - للتأكد من قطعيّة سند الحديث ودلالته يراجع عبقات الأنوار والغدير.

٦٩ - غاية المرام، السيّد هاشم البحراني، الباب ٥٨ الحديث ٤، نقلاً عن الفرائد للحمويني.

٧٠ - سورة المائدة، الآية: ٦٧، للتوسع أكثر حول دلالة الآية يراجع تفسير الميزان، ج٦، ص ٤١ فما بعدها.

٧١ - روى علماء أهل السنة الكبار هذه الواقعة عن سبعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم: زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، والبراء بن عازب، وأبو هريرة، ابن مسعود (الغدير، ج١).

والملاحظ: أنّ ما يختصّ بهذا اليوم هو الإعلان الرسميّ عن هذا التّعيين أمام النّاس، وأخذ البيعة منهم، وإلّا فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد تعرّض مراراً خلال فترة رسالته لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبأساليب وتعابير مختلفة.

٢- ومنها حين نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٧٢]

في بدايات البعثة، قال صلى الله عليه وآله وسلم لعشيرته: "فأيّكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون هو أخي ووصيّي وخليفتي فيكم" واتّفق الفريقان على إحجام القوم جميعاً إلّا عليّ بن أبي طالب وأنّه أوّل من استجاب[٧٣].

٣- ومنها حين نزلت الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٧٤].

حيث فرض الله تعالى فيها إطاعة أولي الأمر بصورة مطلقة، واعتبر إطاعتهم بمستوى إطاعة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والروايات الدالة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أ- سأله جابر بن عبد الله من هم الّذين وجبت طاعتهم؟ أجاب صلى الله عليه وآله وسلم: "هم خلفائي يا جابر وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر- ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام- ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ"[٧٥].

وكما أخبر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد بقي جابر حيّاً حتّى إمامة الباقر عليه السلام وأبلغه سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي حديث روي عن أبي بصير أنّه قال: سألت أبا عبد الله الصّادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ فقال: "نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، فقلت له: إنّ النّاس يقولون فما له لم يسمّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله- عزّ وجلّ- قال: فقولوا لهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه آيات الصّلاة فلم تذكر شيئاً عن الرّكعات الأربع أو الثّلاث وإنّما فسّرها لهم رسول الله، وكذلك حينما نزلت آية ﴿وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ فقال رسول الله: من كنت مولاه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإنّي سألت الله- عزّ وجلّ- أن لا يفرّق بينهما حتّى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك، وقال: لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم؛ إنّهم

٧٢ - سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٧٣ - عبقات الأنوار، والغدير، والمراجعات، المراجعة ٢٠.

٧٤ - سورة النساء، الآية: ٥٩.

٧٥ - غاية المرام، ص ٢٦٧، ج١٠ (ط قديمة)، وإثبات الهداة، ج٢، ص ١٢٣، وينابيع المودة، ص ٤٩٤.

لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يُدخلوكم في باب ضلالة"[٧٦].

ب- ومن الروايات الدالة على خلافتهم عليهم السلام ما كان يكرّره الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم مراراً في أواخر أيّام حياته: "إنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب الله وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض"[٧٧].

ج- وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: "ألا إنّ مثلَ أهل بيتي فيكم مثلُ سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق"[٧٨] وقال مراراً مخاطباً علياً عليه السلام: "أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي"[٧٩] وعشرات من الأحاديث الأخرى [٨٠]، لا يسمح المجال لذكرها. وكلّها تدلّ على أحقيّته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد كلّ ما ذكر – وهو قليل بالنسبة لما لم يذكر- لا يبقى أمام الباحث عن الحقيقة إلّا الإذعان والإقرار بما قامت عليه الأدلّة العقليّة، والنقليّة من آيات وروايات.

معنى الإمامة من كلام المعصوم عليه السلام

عن الإمام الرضا عليه السلام: "هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجور فيها اختيارهم؟! إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النّبوّة، والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل عليه السلام:- سروراً بها- ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه الله عزَّ وجلَّ بأن جعلها في ذريّته أهل الصّفوة والطّهارة فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ × وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٨١] فلم يزل في ذريّته يرثها بعض عن بعض حتّى ورثها النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨٢] فكانت له خاصّة فقلّدها صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً بأمر الله عزَّ وجلَّ على رسم ما فرضها الله عزَّ وجلَّ، فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨٣] فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أين يختار

٧٦ – غاية المرام، السيّد هاشم البحراني، ص ٢٦٥، ح٢، ط القديمة.

٧٧ – وهذا الحديث من الاحاديث المتواترة أيضا، وقد رواه عن الرسول وبطرق عديدة، جماعة من كبار علماء أهل السنة أمثال: الترمذي والنسائي وصاحب المستدرك.

٧٨ – مستدرك الحاكم، ج٣، ص ١٥١.

٧٩ – م.ن.، ج٣، ص ١٣٤، وص١١١، وصواعق ابن حجر، ص ١٠٣، ومسند ابن حنبل، ج١، ص ٣٣١، وج٤، ص ٤٣٨. الخ.

٨٠ – كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، وبحار الأنوار للعلّامة المجلسي.

٨١ – سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٢-٧٣.

٨٢ – سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

٨٣ – سورة الروم، الآية: ٥٦.

هؤلاء الجهّال؟!"[٨٤].

خلاصة الدرس

- قد تبيّن ضرورة تعيين إمام من قِبَل الله تعالى، ويوجد في القرآن الكريم والروايات أدلّة على هذا التعيين:

من القرآن الكريم

١- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٨٥].

فهذه الآية نزلت تأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ تعيين الإمام علي عليه السلام خليفة بعده.

٢- ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٨٦].

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٨٧].

من الروايات:

١- سأل جابر بن عبد الله الأنصاري من هم الذين وجبت طاعتهم في الآية السابقة، أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "هم خلفائي يا جابر وأئمّة المسلمين بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر- ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام- ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ".

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض" وهذا حديث متواتر، رواه كثير من علماء السنّة.

٣- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق".

---

٨٤ - عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١، ص٢١٧.

٨٥ - سورة المائدة، الآية: ٦٧.

٨٦ - سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٨٧ - سورة النساء، الآية: ٥٩.

أسئلة حول الدرس

١- ما هي الآية المرتبطة بتعيين الإمام؟ وبيّن دلالتها على ذلك.

٢- بيّن الواقعة الّتي عُيِّنَ فيها أمير المؤمنين عليه السلام إماماً.

٣- لماذا أخّر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الإعلان عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف أقدم على هذا الأمر؟

٤- أذكر الرّوايات الدّالة على إمامة سائر الأئمّة عليهم السلام؟

٥- ما هو فرق إعلان الغدير عن غيره حتّى يخشى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه ما لم يخشه في غيره؟



الدرس السابع عشر:

الإمام المهدي

عجل الله تعالى فرجه الشريف

(١)

الدرس السابع عشر
الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

أهداف الدرس:

١. أن يتعرف الطالب الدليل إلى معنى الحكومة العالمية.

٢. أن يستذكر آية تتحدث عن الوعد الإلهي.

تمهيد

لقد رويت أحاديث كثيرة من قبل الشّيعة وأهل السّنّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أشير في بعضها إلى عدد الأئمّة فحسب، وأضيف في بعضها الآخر أنّهم جميعاً من قريش، وفي بعض آخر ذكر أنّهم بعدد نقباء بني إسرائيل، وجاء في جملة منها أنّ تسعة منهم من أولاد الإمام الحسين عليه السلام، وأخيراً فإنّ بعض الرّوايات ذكرت أسماءهم واحداً تلو الآخر، وبعضها منقول عن أهل السّنّة، وهي متواترة من طرق الشّيعة[٨٨].

وقد رويت أحاديث كثيرة من طرق الشّيعة حول إمامة كلّ واحد من الأئمّة الأطهار عليهم السلام، لا يسمح المجال لذكرها في هذا الموجز[٨٩]. ولذلك نخصّ البحث في موضوع الإمام الثاني عشر صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ومراعاة للإيجاز سيحصر البحث حول أهمّ الملاحظات.

الحكومة الإلهيّة العالميّة

لقد حاول الأنبياء العظام عليهم السلام تشكيل مجتمع مثاليّ قائم على أساس عبادة الله والقيم والتّعاليم الإلهيّة، ونشر العدل والقسط في الأرض كلّها، وقد خطا كلّ واحد منهم- بحسب وسعه- خطوة في هذا السّبيل، وقد تمكّن بعضهم من إقامة دولة إلهيّة في منطقة أو مرحلة زمنيّة معيّنة، ولكن لم تتوفّر لأيّ منهم الظّروف والشّروط المناسبة لإقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة.

وممّا ينبغي الإشارة إليه هو أنّ عدم توفّر مثل هذه الظّروف والشّروط المناسبة لا يعني قصور تعاليم الأنبياء عليهم السلام ومناهجهم وأساليبهم، أو النّقص والتقصير في تبليغهم وإدارتهم وقيادتهم، وكذلك لا يعني عدم تحقّق الهدف الإلهيّ من بعثتهم. إذ- وكما أشرنا إلى ذلك- إنّ الهدف الإلهيّ هو: توفير الأجواء والظّروف المناسبة لحركة البشر الاختياريّة ومسيرتهم: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٩٠]. جبر النّاس وقهرهم على اعتناق الدّين الحقّ دون اختيار منهم ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٩١]، وهذا المقدار من الهدف قد تحقّق بقيام كلّ منهم بوظيفته

---

٨٨ - منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ط ٣، ص١٠-١٤٠.

٨٩ - راجع: بحار الأنوار، وغاية المرام، وإثبات الهداة وسائر كتب الحديث.

٩٠ - سورة النساء، الآية: ١٦٥.

٩١ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.



على أكمل وجه.

ولكنّ اللّه تعالى وعد- في كتبه السّماوية- بإقامة الحكومة الإلهيّة على الأرض كلّها، ويمكن اعتبار ذلك نوعاً من الإنباء بالغيب بالنّسبة لتوفّر الأجواء المناسبة في المستقبل لتقبّل الدّين الحقّ، على نطاق واسع من المجتمع البشري، وحيث تتحقق على أيدي أشخاص متميزين- وبمعونة الإمدادات الغيبيّة الإلهيّة- إزالة العقبات والحواجز الّتي تحول دون إقامة الحكومة العالميّة، ونشر العدل والقسط في المجتمعات المظلومة والمستضعفة، والّتي ضاقت ذرعاً بجور الظّالمين، ويئست من كلّ المبادئ والأنظمة الحاكمة، ويمكن اعتبار ذلك هو الهدف النّهائي لبعثة خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله وسلم، ودينه العالميّ والخالد، وذلك لأنّ الله قال في حقّه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٩٢].

وبما أنّ الإمامة متمّمة للنّبوّة، ومحقّقة لحكمة ختم النّبوّة، فيتوصّل- على ضوء ذلك- إلى هذه النّتيجة، وهي: أنّ هذا الهدف سيتحقّق بواسطة الإمام الأخير وهو المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذه الفكرة قد ذكرت في روايات متواترة.

وُيشار هنا إلى آيات من القرآن الكريم، تتضمّن البشارة والوعد بإقامة هذه الدّولة العالميّة، وبعد ذلك تُعرض نماذج من الرّوايات المرتبطة بهذا الموضوع.

الوعد الإلهي

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٩٣].

وقد ورد هذا الوعد الإلهيّ في عدّة آيات، ومما لا يقبل الشّكّ أنّه سيأتي اليوم الّذي يتحقّق فيه هذا الوعد الإلهيّ. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٩٤].

وهذه الآية- وإن وردت في شأن بني إسرائيل واستيلائهم على زمام الأمور بعد تخلّصهم من قبضة الفراعنة- ولكن هذا التعبير (ونريد) يشير إلى إرادة إلهيّة مستمرّة، ولذلك طبقت في الكثير من الرّوايات على ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[٩٥].

وقد خاطب تعالى- في موضع آخر- المسلمين بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٩٦].

---

٩٢ - راجع السور التالية: التوبة: الآية ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩، وراجع: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٥٠، ح ٢٢، وص ٦٠، ح ٥٨ و ٥٩.

٩٣ - سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

٩٤ - سورة القصص، الآية: ٥.

٩٥ - بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٥٤، ح ٣٥، وص ٦٣ و ٦٤.

٩٦ - سورة النور، الآية: ٥٥.

وجاء في بعض الرّوايات، أنّ المصداق الكامل لهذا الوعد سيتحقّق في زمان ظهور الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف بصورة كاملة[٩٧]. وهناك روايات أخرى طبّقت بعض الآيات على الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف[٩٨]، نعرض عن ذكرها رعاية للاختصار والإيجاز[٩٩].

المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف في روايات أهل السُنّة

إنّ الرّوايات الّتي نقلها الشّيعة وأهل السّنّة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حول الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف تفوق حدّ التّواتر، بل إنّ الروايات الّتي نقلها أهل السّنّة وحدها تبلغ حدّ التّواتر، باعتراف جماعة من علمائهم[١٠٠]. وقد اعتبر جماعة منهم أن الاعتقاد بالإمام الغائب مما اتّفقت عليه الفرق الإسلاميّة جميعاً[١٠١]، وألّف بعضهم كتباً ومؤلّفات حول الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف[١٠٢]، وعلامات ظهوره، نذكر هنا بعضها:

- من الرّوايات العديدة الّتي رووها عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: "لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً"[١٠٣].

- عن أمّ سلمة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "المهديّ من عترتي ومن ولد فاطمة"[١٠٤].

- وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّ عليّاً إمام أمّتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الّذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً"[١٠٥].

خلاصة الدرس

- إنّ هدف الأنبياء عليهم السلام إقامة العدل والقسط في الأرض كلّها، وعدم تمكّن الأنبياء من تحقيق هذا الهدف لا يعني قصور تعاليمهم ومناهجهم وأساليبهم أو تقصيراً منهم؛ بل لعدم توفّر الظروف الموضوعيّة.

وممّا ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١٠٦].

٩٧ – بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٥٨، ح ٥، وص ٥٤، ح ٣٤ و ٣٥.

٩٨ – أمثال هذه الآيات: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه﴾سورة الأنفال، الآية: ٣٩ و ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾سورة التوبة، الآية:٣٣ و ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾سورة هود، الآية: ٨٦.

٩٩ – بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٤٤–٦٤.

١٠٠ – انظر: الصواعق المحرقة، لابن حجر، ص ٩٩، ونور الأبصار، للشبلنجي، ص ١٥٥، وإسعاف الراغبين، ص ١٤٠، والفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٢١١.

١٠١ – شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٣٥، وسبائك الذهب، للسويدي، ص ٧٨، وغاية المأمول، ج ٥، ص ٣٦٢.

١٠٢ – أمثال كتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان) تأليف الحافظ محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي الّذي عاش في القرن السابع، وكتاب (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) تأليف المتّقي الهندي الّذي عاش في القرن العاشر.

١٠٣ – صحيح الترمذي، ج٢، ص ٤٦، وصحيح أبي داود، ج ٢، ص ٢٠٧، ومسند ابن حنبل، ج ١، ص ٣٧٨، وينابيع المودّة، ص ١٨٦ و٢٨٥ و ٤٤٠ و ٤٨٨ و ٤٩٠.

١٠٤ – إسعاف الراغبين، ص ٤٣١، نقلا عن صحيح مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي.

١٠٥ – ينابيع المودّة، القندوزي، ص ٤٩٤.

١٠٦ – سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ﴾[107].

وجاء في بعض الروايات أنّ المصداق الكامل لهذا الوعد سيتحقّق في زمن ظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف بصورة كاملة.

١٠٧ - سورة النور، الآية: ٥٥.



الدرس الثامن عشر:

الإمام المهدي

عجل الله تعالى فرجه الشريف

(٢)

الدرس الثامن عشر
الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

أهداف الدرس:

١. أن يتعرف إلى معنى غيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف.

الغَيْبَة

تُعتبر الغَيْبَة من خصائص الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف والّتي ورد التّأكيد عليها في الرّوايات المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام منها:

- ما رواه عبد العظيم الحسنيّ عن الإمام محمّد الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأنّي بالشّيعة يجولون جولان النّعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقسُ قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة".

ثمّ قال: "إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه"[١٠٨].

- وروي عن الإمام السّجاد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: "وإنّ للقائم منّا غيبتين، إحداهما أطول من الأخرى، فلا يثبت على إمامته إلّا من قوي يقينه وصحّت معرفته"[١٠٩].

سرّ الغيبة ومغزاها

لقد حاول الحكّام الظالمون بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تحريف المفاهيم والأحكام الدينيّة، بما يتوافق مع مصالحهم الشخصيّة، والّتي تحفظ لهم تسلّطهم على رقاب الناس، ومن هنا قام سائر الأئمّة الأطهار عليهم السلام بتثبيت الأصول العقائديّة وترسيخ ونشر المعارف والأحكام الإسلاميّة، وتربية النّفوس المؤهّلة وتهذيبها، وحيثما تسمح الظّروف، كانوا يحرّضون النّاس سرّاً على محاربة الظّالمين، والجبابرة والطّواغيت، ويزرعون فيهم الأمل بتحقّق الدّولة الإلهيّة العالميّة، إلّا أنّهم استشهدوا جميعاً واحداً بعد الآخر، ولم تتوفّر الظروف المناسبة لإقامة الدولة الإسلاميّة العادلة والموعودة.

وعلى كلّ حال، تمكّن الأئمّة الأطهار عليهم السلام خلال قرنين ونصف من عرض الحقائق الإسّلاميّة وبيانها للنّاس، بالرّغم من مواجهتهم الكثير من التّحدّيات والمشاكل والمتاعب الشّديدة، وقد أظهروا بعضاً منها للنّاس عامّة وبعضها الآخر أظهروه لخصوص شيعتهم وخواصّ أصحابهم،

١٠٨ - منتخب الأثر، ص ٢٥٥.

١٠٩ - م.ن، ص ٢٥١.



وبذلك انتشرت المعارف الإسلاميّة بمختلف أبعادها وجوانبها في الأمّة، وضمن ذلك بقاءَ الشّريعة المحمّديّة، وقد تشكّلت- خلال ذلك- هنا وهناك في البلاد الإسلاميّة بعض الجماعات الّتي اندفعت لمحاربة الحكّام الجائرين، وأمكنهم- ولو بصورة محدودة- منع الجبابرة والطّواغيت من التّمادي في غيّهم وجورهم وعبثهم.

الوعد بظهور الإمام وقيام الحكومة الإلهية:

ولكن الّذي كان يُثير فزع الحكّام الظّالمين وقلقهم أكثر، هو الوعد بظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، الّذي كان يُهدّد وجودهم وكيانهم، ومن هنا فرض المعاصرون منهم للإمام الحسن العسكري عليه السلام رقابة مشدّدة عليه، ليقتلوا أيّ طفل يولد له، وقد استشهد الإمام عليه السلام نفسه بأيديهم، وهو في ريعان شبابه، ولكن شاءت الإرادة الإلهيّة أن يولد المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأنّ يُدّخر لخلاص البشريّة ونجاتها؛ ولهذا السّبب لم يوفّق للقائه خلال حياة أبيه- وحتّى الخامسة من عمره- إلّا أفراد قليلون من خواصّ الشّيعة، بيد أنّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ارتبط بالنّاس بعد وفاة أبيه، بواسطة نوّاب أربعة، كُلّفوا بمهمّة النّيابة الخاصّة[١١٠]، واحداً بعد الآخر، وبعد ذلك بدأت (الغيبة الكبرى)، الّتي ستستمرّ إلى مدّة غير معلومة، حتّى اليوم الّذي يتمّ فيه إعداد البشريّة لتقبّل الحكومة الإلهيّة العالميّة، وامتلاك القدرة على إقامتها وحينئذ سيظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بأمر من الله تبارك وتعالى.

النتيجة

إذن فالسّرّ في غيبته عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الحفاظ عليه من أيدي الجبابرة والجائرين، وانتظار الظروف المؤاتية لتقبُّل البشريّة إقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة، وامتلاك القدرة على إقامتها، وقد أشير في بعض الروايات إلى حِكَمٍ أخرى.

منها: امتحان النّاس واختبار مدى استقامتهم وثباتهم بعد إتمام الحجّة عليهم.

ومنها: أنّ بقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف على قيد الحياة يُعتبر عاملاً قويّاً ومؤثّراً في زرع الطُّمأنينة وشيوع الأمل بين النّاس، ليحاولوا إصلاحَ أنفسهم وإعدادَها لظهوره.

فائدة وجود الامام عجل الله تعالى فرجه الشريف حال الغيبة

إنّ غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف لا تعني انقطاعه التامّ عن النّاس، ولا تستلزم حرمان النّاس من بركات وجوده، ونعمة هدايته، وإن كانت بدرجة أقلّ وآثار أضعف، وكما أشار الإمام نفسه إلى هذا الأمر بقوله عجل الله تعالى فرجه الشريف: "وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشّمس، إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب"[١١١]، فإنّ الشّمس يستفاد من نورها وشعاعها وإن حجبتها الغيوم وإن كانت الفائدة أقلّ. وقد وُفِّق بعض الأشخاص للقاء الإمام عجل

---

١١٠ - وهم: عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان بن سعيد، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري.

١١١ - كمال الدين، الشيخ الصدوق، ص ٤٨٥، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، الحديث ٤.

الله تعالى فرجه الشريف واستفادوا منه الكثير في قضاء حوائجهم، وتوجيههم فكريّاً وسلوكيّاً.

خلاصة الدرس

- إنّ الروايات في الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف متواترة من طريق أهل السنّة فضلاً عن الشيعة، ومنها: "لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً".

- تُعتبر الغَيْبَة من خصائص الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف والّتي ورد التأكيد عليها في الروايات، ومن أسرار الغَيْبَة:

أ- الحفاظ عليه من أيدي الجبابرة، وانتظار الظروف المؤاتية لنجاح مهمّته.

ب- امتحان الناس واختبارهم.

أسئلة حول الدرس

١- هل إنّ عدم تحقّق العدالة في الأرض ناتج عن قصور تعاليم الأنبياء عليهم السلام ولماذا؟

٢- أذكر آية تدلّ على الوعد الإلهيّ بتحقّق العدالة، ومتى تتحقّق.

٣- أذكر الأسرار والحكم من غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٤- أذكر روايتين حول وجود المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، وروايتين حول غيبته؟



الدرس التاسع عشر:

الاعتقاد بالإمام المهدي

عجل الله تعالى فرجه الشريف

الدرس التاسع عشر
الاعتقاد بالإمام المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف

متى يتحقّق ظهور الإمام عجل اللّه تعالى فرجه الشريف؟

الجواب:

١- بما أنّ الغيبة لها أسباب وللظهور غايات وأهداف كما تقدّم، وعليه لا يمكن أن يتحقّق الظهور قبل ارتفاع الأسباب الّتي دفعت إلى غيبة الإمام عجل اللّه تعالى فرجه الشريف، ولا بدّ من تحقّق الأرضيّة المناسبة والظروف الموضوعيّة الّتي تسمح بتحقّق الهدف، فعندما تُضمن سلامة الإمام من خلال اجتماع عدد يشكّل نواة لحركة الإمام، وهو عدد المسلمين في معركة بدر- أي ثلاثماية وثلاثة عشر- وعندما يقطع معظم الناس الأمل بإمكانيّة تحقيق العدالة على أيدي البشر العاديّين، فيتوسّلون تحقيق العدالة الإلهيّة على يدي رجل إلهيّ، حينئذ تكون الأسباب قد ارتفعت والأرضيّة قد تهيّأت، وأمّا متى يحصل هذا؟ فهو أمر تنحصر معرفته باللّه تعالى، ولذلك ورد النهي الشديد، والتكذيب الأكيد على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليه السلام- لكلّ من يحاول توقيت الظهور، فقد ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: "لقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عليه السلام أنّ النبيّصلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول اللّه متى يخرج القائم من ذريّتك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مثله مثل الساعة ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ [١١٢]"[١١٣].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون وإلينا يصيرون"[١١٤] وغيرها من الروايات.

٢- إنّ إخفاء الوقت له آثار إيجابيّة في دفع الإنسان للعمل والسعي والجدّ، وتربية نفسه وتهذيبها، ليكون مؤهّلاً وحاضراً عندما تأتيه الدعوة للخروج، ويسمع النداء- فتبقى بذلك قلوب المؤمنين مشتاقة لرؤيته ومهيئة لتقبّل دعوتهعجل اللّه تعالى فرجه الشريف.

وقد جاء في رسالة الإمام عجل اللّه تعالى فرجه الشريف للشيخ المفيد: "فليعمل كلّ امرئ منكم بما يقرّبه من محبّتنا، ويتجنّب ما يُدنيه من كراهيتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا يُنجيه من عقابنا ندم على حوبة"[١١٥]

هل يوجد علامات للظهور؟

الجواب:

١١٢ - سورة الأعراف، الآية:١٨٧.
١١٣ - بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ١٥٤.
١١٤ - الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٦٨.
١١٥ - بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٣، ص ١٧٦.

نعم لقد وردت جملة من الروايات الّتي تستعرض بعض العلامات الّتي تسبق خروج الإمام عجل اللّه تعالى فرجه الشريف إلّا أنّه لا بدّ من الإشارة إلى:

١- إنّ العلامة هي مجرّد دليل على قرب الظهور، وليست سبباً للظهور بحيث يتوقّف عليها.

٢- إنّ العلامة لا تدلّ بالضرورة على ملاصقة الظهور لها، فقد تكون علامة على عصر الظهور وليست علامة لتوقيته، وإن كان يوجد علامات تُشير إلى كون الظهور قريباً جدّاً- كما سيأتي-.

٣- إنّ بعض العلامات بشكل عامّ وردت على شكل رموز، ولذلك يُخطئ من يحاول تطبيقها بشكل قاطع على حوادث ووقائع، فلا يفيد هذا التطبيق إلّا ظنّاً ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[١١٦].

٤- يوجد علامات حتميّة الوقوع، ولكن يوجد أيضاً علامات غير حتميّة وقد يحصل البَداء فيها.

٥- أن لا يتلهّى الإنسان بالعلامات ويقف عندها ويغفل عن الأمر المهمّ وهو السعي لتهذيب نفسه وتزكيتها وتهيئتها، ليكون أهلاً لصحبة الإمام عجل اللّه تعالى فرجه الشريف، لأنّ هذا الّذي يحتاجه المؤمن لنفسه، ويطلبه منه إمامه عجل اللّه تعالى فرجه الشريف وبذلك تتحقّق إحدى فوائد جعل العلامات وبيانها.

وإليك بعض العلامات الواردة بشكل إجماليّ، وهي:

١- خروج الثلاثة: ورد عن النبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم: "خروج الثلاثة: السفيانيّ والخراسانيّ واليمانيّ في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها من راية أهدى من راية اليمانيّ لأنّه يدعو إلى الحقّ"[١١٧].

٢- الرايات السود: ورد عن النبيّصلى اللّه عليه وآله وسلم: "تنزل الرايات السود الّتي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهديّ عجل اللّه تعالى فرجه الشريف بعثت إليه بالبيعة"[١١٨].

٣- قتل النفس الزكية: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "وليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكية إلّا خمس عشرة ليلة"[١١٩].

٤- الخسف: ورد عن النبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم: "...يكون عند ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب"[١٢٠].

٥- طلوع الشمس من المغرب: ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: "وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم"[١٢١].

١١٦ - سورة النجم، الآية: ٢٨.

١١٧ - بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٢١٠.

١١٨ - م.ن، ج ٥٢، ص ٢١٧.

١١٩ - الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٤٤٥.

١٢٠ - معجم أحاديث المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف، الكوراني، ج ١، ص ٣١١، نقلها من جملة مصادر.

١٢١ - بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٢٨٩.

٦- **الصيحة في السماء:** ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: "ينادي مناد من السماء باسم القائم فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلّا استيقظ، ولا قائم إلّا قعد، ولا قاعد إلّا قام على رجليه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب"[١٢٢].

الأجواء الفاسدة

بقيت الإشارة إلى الأجواء الفاسدة السائدة في الأمّة عصر الظهور، وذلك من خلال الرواية الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام: "...فإنّ علامات ذلك: إذا أمات الناس الصلاة وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرّشا... وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان والإثم والطغيان... وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقي الفاجر مخافة شرّه، وصُدّق الكاذب واؤتمن الخائن، واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخر الأمّة أوّلها، وركبت ذوات الفروج السروج، وتشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء..."[١٢٣].

خلاصة الدرس

- أُثيرت تساؤلات عدّة حول غياب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف منها:

هل يُمكن أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل؟ والجواب:

١- مسألة طول عمر الإنسان ليست من المستحيلات العقليّة، والله قادر على كلّ شيء.

٢- إنّ طول عمر الإنسان كما أنّه ممكن عقلاً هو واقعٌ خارجاً، كما في النبيّ نوح عليه السلام والخضر عليه السلام.

- لماذا أطال الله عمر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

والجواب:

إنّه قام الدليل القطعي على الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وإذا لم نعرف أسباب غيبته- فرضاً- هذا لا يدعونا إلى الإنكار، فالإيمان بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو أحد مصاديق الإيمان بالغيب. ثمّ إنّ إقامة دول الحقّ تحتاج إلى المعصوم فلو فرض موت الإمام الثاني عشر فهذا يعني استحالة إقامة دولة الحقّ.

- متى يتحقّق الظهور؟

---

١٢٢ - بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٢٠٣.

١٢٣ - م.ن، ج ٥٢، ص ١٩٣.

والجواب:

إنّ للظهور أسبابه الموضوعيّة فمتى حانت ظهر الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بأمر الله تعالى. وأمّا إخفاء توقيت ظهوره المبارك ففيه فوائد منها: دفع الإنسان المؤمن للعمل والسعي وتربية نفسه لتتهيّأ لظهوره الشريف.

- هل يوجد علامات للظهور؟

والجواب:

نعم وردت روايات تستعرض علامات لظهوره الشريف، ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ العلامة دليل على قرب الظهور وليست سبباً، كم أنّها قد تكون علامة على عصر الظهور وليست علامة لتوقيت الظهور، ثمّ إنّ بعضها يُشكِّل رموز، لذلك قد يُخطئ بعض الناس في تطبيقها، وعلى الإنسان المؤمن أن لا يلتهي بالعلامات عن العمل للتمهيد للظهور المبارك.

- علامات الظهور منها حتميّ ومنها غير حتميّ قد يحصل البداء فيها، ومن العلامات: خروج السفياني والخراساني واليماني، الرايات السود من خراسان، قتل النفس الزكيّة، الخسف، الصيحة من السماء، انتشار الفساد.

أسئلة حول الدرس

١- ما هي فلسفة وعمر الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف الطويل؟

٢- ما هو الهدف من إخفاء ساعة الظهور؟

٣- عدّد بعضاً من علامات الظهور.



مركز الشيخ المفيد

لرعاية مشاريع التعليم